مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدام

مايو ٢٠٢٣

«وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً، اسْمُهَا عِمْوَاسُ...
فَلَمَّا اتَّكَأَ مَعَهُمَا، أَخَذَ خُبْزًا وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَنَاوَلَهُمَا،فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ (عند كسر الخبز)»

(لو ٢٤: ١٣ - ٣٥)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٧ — مايو ٢٠٢٣م.

العدد ٦٤٤ — برمودة/ بشنس ١٧٣٩ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

القدِّيسون شهود الكنيسة ١

مقال للأب متى المسكين:

«وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذبُ إليَّ الجميع»..... ٦

من كتابات القديس القمص بيشوي كامل:

جراحات القائم من الموت..... ٩

بمناسبة عيد القيامة المجيد:

أقامنا معه..... ١٤

بمناسبة الخمسين المقدَّسة:

دليل القيامة، هل هو كافٍ؟..... ٢٠

ادخل إلى العمق (٣٣): قيامة المسيح وقيامتنا ٢٥

من التراث الكنسي: معرفة الله (٤)..... ٣١

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (٤) ٣٦

بحث تاريخي:

أديرة وكنائس أخميم الأثرية (١)..... ٣٩

تقديم كتاب: علم الآباء "باترولوجيا" المجلَّد الأول..... ٤٣

مقال بالإنجليزية:

RESURRECTION AND REDEMPTION ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للعلَّامة أوريجانوس

الاحتفال الدائم بالقيامة

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✠❁

[إنَّ الذي فَهِمَ أنَّ «فِصْحَنَا المسيح قد ذُبِح» (١كو ٥:٧)،
وأنّه ينبغي أن نحتفل بالعيد بأكلنا من جسد الكلمة،
لا يوجد بالنسبة له وقتٌ لا يُكَمِّل فيه الفصح
- الذي يعني "ذبائح قبل العبور" -
لأنَّه بكلِّ فكرٍ وبكلِّ كلمةٍ وبكلِّ عملٍ،
"يَعبُر" على الدوام من أمور هذه الحياة إلى الله،
ويُسرِع الخُطَى نحو مدينة الله.
بل والذي يستطيع أن يقول بحقٍّ:
«إننا قمنا مع المسيح» (كو ٣: ١)، بل وأيضًا:
«أَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ
فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ» (أف ٢: ٦)،
هو يحيا بلا انقطاع في أيَّام الخمسين،
وعلى الخصوص حينما يصعد
إلى العلِّيَّة على غرار رُسُل يسوع،
ويتفرَّغ للتضرُّع والصلاة،
ليصير أهلًا «لهبوب ريحٍ عاصفة» من السماء،
تلك التي تُجبِر الشرَّ الذي في البشر
وما يتبعه أن يَفنَى تمامًا].

ضد كلسس ٨: ٢٢

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا – القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيها

الاشتراك السنوي: حدُّ ... حدُّه الأدنى:

١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)

٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية

١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى

يُسدد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**

عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا - القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

الافتتاحية

القدِّيسون

شهود الكنيسة

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

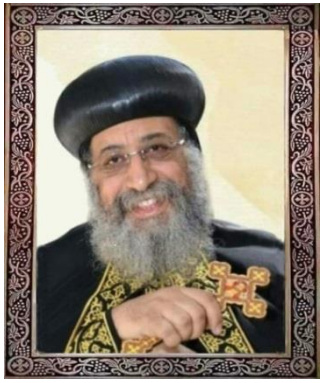

✠✠✠

«اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ» (عب ١٣: ٧).

خلال شهر مايو من كلِّ عام نحتفل بأيام القيامة المجيدة والخمسين المقدَّسة التي هي أساس إيماننا وفرح أفراحنا. وخلال هذا الشهر تأتي تذكارات عديدة للقدِّيسين من كلِّ النوعيات، هم شهودٌ في تاريخ الكنيسة، وكأنهم مصابيح النور عَبْر مسيرة حياة المؤمنين نحو الملكوت، يحملون نور القيامة لنا من جيلٍ إلى جيل، ويشهدون بحياتهم وإيمانهم، وهذا هو سرُّ بقاء الكنيسة حيَّة عَبْر العصور، خاصةً عصور الضيق والألم، لأنهم يُقدِّمون دموعهم وعرقهم فضلًا عن دمائهم وحياتهم. ويُعبِّر عنهم بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: «لِذلِكَ نَحْنُ أَيْضًا إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ، وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عب ١٢: ١).

ومن هذه التذكارات: مار مرقس الرسول – مار جرجس الروماني – القدِّيس أثناسيوس الرسولي – الملكة هيلانة – القدِّيس باخوميوس أب الشركة – القدِّيس أرسانيوس معلِّم أولاد الملوك – القدِّيسة دميانة العفيفة، وغيرهم كثيرون خلال هذا الشهر.

يقول الكتاب المقدَّس عنهم: «أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ. قُدَّامِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لَا يَكُونُ» (إش ٤٣: ٣٠).

ونحن نحتفل بالقدِّيسين كلَّ يوم بصُوَر متنوعة، فمثلًا نذكُرهم في مجمع التسبحة كلَّ يومٍ، وكذلك في الذكصولوجيات، وفي تحليل الخُدَّام، وفي كتاب الدفنار، وفي كتاب السنكسار، وفي مجمع القدَّاس، وألحان الهيتنيَّات (الشفاعات). كما نضع أيقوناتهم في الكنيسة وفي حامل الأيقونات بترتيبٍ مُعيَّن، وفي نهاية كلِّ قدَّاس نقول لحن التوزيع: «سبِّحوا الله في جميع قديسيه». هذا يعني أنَّ الكنيسة مُحاطة بأرواح القدِّيسين، وأنَّ حياة القداسة مزروعة في داخلنا كبذورٍ تنمو مع الأيام، لتصير شجرة الإنسان مُحمَّلة بالفضائل، ومُزيَّنة بالتوبة والتقوى والمخافة. ومهما كان سنُّك كبيرًا أو صغيرًا، ومهما كنتَ رجلًا أو امرأةً، طفلًا أو شابًّا أو مُسِنًّا، فأشكال القدِّيسين كثيرة ونوعياتهم عديدة، وسوف تجد بينهم مَنْ يُشبهك ويكون نموذج حياتك.

على سبيل المثال: قصة الشهيدَيْن تيموثاوس الشمَّاس وعروسه مورا، وهما من جنوب الوادي ولم يمضِ على زواجهما ثلاثة أسابيع، حيث طلب المُضطهدون منه تسليم كُتُب الكنيسة المخطوطة، ولكنه رفض قائلًا: "هل يُسلِّم أحدٌ أولاده"؟! وعندما بدأوا بتهديده وتخويفه، اتَّجهوا إلى زوجته العروس التي أجابتهم بنفس إجابة زوجها. وكانت النتيجة عذاباتٍ كثيرة ثم استشهدهما، ورغم أنهما من القرن الرابع إلَّا أنَّ سيرتهما باقية ومُهمَّة لكثيرين حتى الآن.

ويمكننا أن نشرح أنَّ القدِّيسين شهود الكنيسة من خلال أربع نوعيات:

أولًا: شهادة الإيمان:

وهنا نتحدَّث عن الشاهد وليس الشهيد، وفي تاريخ كنيستنا كثيرٌ من شهود الإيمان ، مثل: القدِّيس كيرلس عمود الدين، وهو البابا رقم ٢٤ في بطاركة كنيستنا، وقد كان هذا القدِّيس مُدافعًا قويًّا عن الإيمان، وهو الذي وَضَعَ لقب والدة الإله "ثيئوطوكوس". وساعد في تأليف (الثيئوطوكيات)، وهي عبارة عن قِطَع تمدح أُمنا العذراء مريم، وهي موزَّعة على أيام الأسبوع. وصار هذا القدِّيس مُدافعًا عن الإيمان في كلِّ المجامع والمناقشات التي

حضرها، وفي الكُتُب التي قام بتأليفها، وصار شاهدًا من شهود الإيمان في الكنيسة.

وشهود الإيمان كثيرون مثل: القدِّيس أثناسيوس الرسولي، والبابا ديسقوروس. ويوجد عَبْر التاريخ كثيرٌ من الأسماء، بداية من القدِّيس مار مرقس الرسول حتى الآن. وكنيستنا تحفظ الإيمان، فنقول: نحن على إيمان أثناسيوس وكيرلس وديسقوروس. فخط الإيمان المستقيم مستمرٌ، وشهود الإيمان يزدادون كلَّ يومٍ، لذلك فإنَّ كنيستنا حيَّة وشاهدة للإيمان.

وحضور الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في أيِّ لقاءٍ على مستوى العالم، هو شهادة للإيمان المستقيم. ومنذ سبعين سنة بدأ مجلس الكنائس العالمي يجتمع للتقارُب بين الكنائس، ونحن نُشارك في هذه المجالس العالمية بفاعلية منذ أيام البابا يوساب الثاني (البطريرك ١١٥)، لأننا نحمل الإيمان المستقيم، ولأن المسيح أوصانا أن نكون ملحًا للأرض ونورًا للعالم، والملح والنور لا يختبئان. فالنور يجب أن يوضَع على المنارة لكي يظهر، والملح يوضع في وسط المجتمع لكي ما يأتي بالثمار.

ثانيًا: شهادة التوبة:

القدِّيسون شهودٌ للكنيسة بالتوبة، وهناك باقة كبيرة من قدِّيسي التوبة في الكنيسة، مثل: القدِّيسة مريم المصرية التي ارتبطت سيرتها بالقدِّيس زوسيما القس. ومريم المصرية في بداية حياتها سلكت سلوكًا خاطئًا، وأرادت أن تنقل هذا السلوك الخاطئ إلى فلسطين!! وعندما أرادت أن تدخل الكنيسة في أورشليم شعرت بأنَّ يدًا تمنعها من الدخول. وهنا بدأت تعرف خطيئتها وتتوب، وقد عاشت في براري الأردن. وبتوبتها شهدت وصارت سيرتها عَطِرة بالكنيسة. وأيضًا من قدِّيسي التوبة القدِّيس القوي موسى الأسود، وقد كان سلوكه بعيدًا عن الله، وتعرَّف على القدِّيس إيسيذوروس. وكان القدِّيس موسى (قبل إيمانه) يأكل خروفًا كلَّ يومٍ، فكيف سيعيش في حياة النُّسك؟!

ولكن القدِّيس إيسيذوروس علَّمه وأعطى له قانونًا روحيًّا، فأثناء سيره معه في البريَّة وجد فرع شجرة، فقال له: "ستأكل مقدار وزن هذا الفرع"، لكن مع مرور الأيام بدأ هذا الفرع يجف ووزنه يقل، وبذلك قلَّت كمية الطعام التي يأكلها موسى، ومع مُضِيِّ الوقت ومن هنا تعلَّم النُّسك. وصار موسى التائب يصوم يومين يومين، وصار قدِّيسًا عظيمًا، نذكُر اسمه

حتى اليوم، ونُسمِّي أولادنا على اسمه. فكما أنَّ كنيستنا بها شهودٌ للإيمان، بها أيضًا شهودٌ للتوبة، وفي آخر كلِّ قدَّاس يُصلِّي الأب الكاهن قائلًا: "اهدنا يا رب إلى ملكوتك"، بمعنى: اجعلنا يا رب دائمًا شهودًا لك في توبتنا وإيماننا.

ثالثًا: شهودٌ للفضيلة:

شهود الفضيلة هم مَنْ يعيشون ويُطبِّقون الحياة المسيحية، كما قال الكتاب: «فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» (في ١: ٢٧)، بمعنى أنَّ وصايا الإنجيل هي التي تجعل المسيحي شاهدًا للفضيلة، والفضيلة هنا ليست هي الفضائل الإنسانية، ولكن المقصود هو الصفات المسيحية الأصيلة، التي تصل إلى تطبيق وصية محبة الأعداء، كما نقول في صلاة باكر: "أسألكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحقُّ للدعوة التي دُعيتُم إليها، بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضكم بعضًا في المحبة، مُسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصُّلْح الكامل ...". وكأن الكنيسة تدعونا وتحثنا كلَّ يومٍ أن نكون شهودًا للفضيلة.

ويقول القدِّيس مار إسحق السرياني: "شهيَّةٌ جدًّا هي أخبار القدِّيسين في مسامع الودعاء كالماء للغروس الجديدة". وإن وُجِدَ في حياة الإنسان بعض الكسل أو الفتور، أنصحه بالقراءة في السنكسار وسِيَر القدِّيسين، لأنهم نماذج للفضيلة.

فالإنجيل إن كان حاضرًا في حياة الإنسان، تكون الفضيلة أيضًا حاضرة، لأن كلمة الله تزرع في قلبه الفضيلة، فإذا تواجدت كلمة الله في بيته، وفي عباراته وفي فكره، سيكون عقله نقيًّا وخاليًا من أفكار الخطية، فالكتاب المقدَّس هو الوسيلة الفعَّالة لتنقية أفكار الإنسان، كما يُعلِّمنا المسيح قائلًا: «الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» (يو ٦: ٦٣). فعِش وافهم الإنجيل لكي ما تصير شاهدًا للفضيلة.

رابعًا: شهادة الدم:

وهم الشهداء، وشهداء الدم أعدادهم لا تُحصَى في التاريخ المسيحي، وما تزال حتى يومنا هذا، تُقدِّم المسيحية في مواضع كثيرة من العالم شهداء، وشهادة الدم هي قمة أنواع الشهادة. فالإنسان الذي صار شهيدًا، قد صار شاهدًا بدمائه وبحياته، ومن أمثلة

هؤلاء الشهداء: الأمير تادرس، والقدِّيسة مارينا، والقدِّيس أبانوب ... إلخ.

فالقدِّيس أبانوب كان طفلًا، والقدِّيسة مارينا كانت أميرةً، والقدِّيس تادرس كان أميرًا، والقدِّيس موسى القوي كان عبدًا. وقد يظنُّ الناس أنَّ شهادة طفل مثل أبانوب تنتهي سيرته بموته، ولكن هذا غير صحيح، لأن مَنْ شهدوا للكنيسة بدمائهم، صارت سيرتهم حاضرة دائمًا في تاريخ المسيحية. وقديمًا كانوا يبنون الكنائس على قبور الشهداء، وهناك مقولة تقول: "مقابر خُدَّام المصلوب أروع من قصور الملوك".

فجميعنا نزور مزارات الشهداء مثل: مزار الشهيد مار مينا العجائبي؛ وكذلك نزور مزارات شهود الفضيلة مثل: البابا كيرلس السادس شاهد الفضيلة الذي عاش وسلك بها، فما أعظم بركات صلوات القدِّيسين ونحن نتشفَّع بهم، فنحن هنا على الأرض لنا أصدقاء في السماء.

ولنا تاريخ حافل وهم يروننا ويسندوننا ويُصلُّون من أجلنا ويُشجِّعوننا على الطريق، وهم شهودٌ في حياتنا اليومية. فصلوات القدِّيسين لها قوَّتها العظيمة في حياتنا، وعندما نطلب صلواتهم وشفاعتهم فإنَّ هذه الصلوات تصير قويَّة جدًّا.

وهناك قصة تُحكَى عن بيت تمَّت سرقته، وقد قام أهل هذا البيت بالتشفُّع بالقدِّيسين، وزاروا أديرة كثيرة جدًّا. وفي أحد الأديرة تقابلوا مع أبٍ راهب فسألهم عن سبب تعبهم؟!! فقالوا: "إن البيت تمَّت سرقته"، فقال لهم الأب الراهب أن يتشفَّعوا بقديس كان أصله سارقًا. وبالفعل تشفَّعوا بالقدِّيس الأنبا موسى القوي. وبالفعل عادت المسروقات كلها بعد أيامٍ قليلة.

الخُلاصة، أيها الأحبَّاء، هي أنَّ القدِّيسين هم شهودٌ للكنيسة. فطوبى لمَنْ يعرف عددًا كبيرًا من هؤلاء القدِّيسين، ويعرف سِيَرهم، ويعيش حياتهم، ويُعيِّد أعيادهم، ويزور مواضعهم، ويتبارك برفاتهم، ويطلب شفاعتهم دائمًا.

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

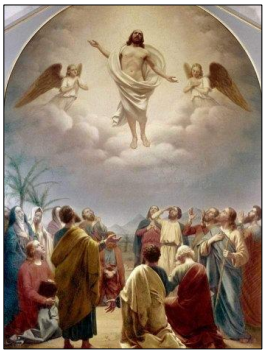

«وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ»

(يو ١٢: ٣٢)[١]

⊙✠⊙

+ «وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ» (يو ١٢: ٣٢).

هذه الآية تنطبق على الصليب، وتنطبق على الصعود، فهما نفس الحقيقة.

اليوم يوم فرح ومسرَّة عظيمين، فالبشرية التي سقطت من السماء، وعاشت على الأرض في عبودية مُرَّة ومطرودة من خير السماء، اليوم انفتحت لها السماء، حينما صعد المسيح.

صارت السماء للبشرية بكلِّ أمجادها، ولكن بصورةٍ أعظم مِمَّا كان لآدم.
فبحسب الإنجيل والتعليم الآبائي، فإنَّ بصعود المسيح، صعدت معه البشرية.

فعندما ارتفع المسيح ببشريته إلى السماء، صار لنا حقُّ الصعود في شخص يسوع المسيح، شريطةً أن نكون مُتمسِّكين بالمسيح، وأن تكون لنا معه علاقة.

لا بد أن نعرف أن أفعال المسيح هي أفعالٌ إلهيَّة وليست زمنيَّة. نعم هي بدأت في الزمان، ولكن لا نهاية لها.

على سبيل المثال، فقد وُلِدَ المسيح، ولكن ميلاد المسيح لا يزال إلى الآن تُسبِّحه الملائكة وتُمجِّده الكنيسة كفعلٍ مستمرٍّ دائم.

كذلك دم المسيح ما يزال يقطر أمام الآب، وهو مصدر شفاعة كل حين، لأن المسيح ببشريته جالسٌ عن يمين الآب، يشفع فينا نحن المُذنبين.

الصليب والصعود كلاهما فعلٌ دائم:

فالصليب فعلٌ دائمٌ، والصعود فعلٌ دائمٌ. فإن كان لي علاقة بالمسيح واتِّحاد به؛ فأنا

---

(١) من كلمة للأب متى المسكين ألقاها على الآباء الرهبان في وادي الريَّان بمناسبة عيد الصعود المجيد.

معه مصلوبًا، ومعه قائمًا، ومعه صاعدًا، وجالسًا معه في السماء.

في الحقيقة، كان صعود المسيح فتحًا جديدًا لمجالٍ كان ممنوعًا إطلاقًا علي الإنسان أن يتقدَّم إليه.

وأنا أحاول تشبيه ما صنعه المسيح في صعوده بالنسبة لنا كالآتي: كلُّنا نعرف المغناطيس إذا قرَّبتَ منه بُرادة حديد، ففي الحال يلتقط المغناطيس بُرادة الحديد. ما الذي حدث؟ الذرَّات التي في الحديد تمَّ ترتيبها من جديد، فسهل على المغناطيس اجتذابها. هذا هو ما حدث في صعود المسيح، وإن كنا لا نراه.

هكذا، كلُّ مَن يقترب من الربِّ يسوع المسيح، يحدث فيه مجالٌ جديد، ويكون له استطاعة أن يطرق مجال الله. هذا المجال صنعه المسيح للبشرية المُخلَّصة، بأن أعدَّ لها طريقًا صاعدًا إلى السماء يؤدِّي إلى الآب، نعبُره بدم يسوع المسيح؛ وهكذا نتقدَّم أمام الله بجرأة بسبب إيماننا وعلاقتنا بابنه.

صعود المسيح هو صعودنا نحن فيه:

فالصعود في الحقيقة، يا آبائي، هو صعودنا نحن. لقد صار لنا بالمسيح قوة جذب هائلة في السماء، صار لنا مجالٌ مؤمَّن، لا يقدر الشيطان رئيس سلطان الهواء وكلُّ قوَى الشرِّ أن يقترب منه أو يخترقه.

المسيح عندما صعد، جعل كلَّ أعدائه موطئ قدميه، فقد انصرعت كلُّ الأرواح الشريرة وانفتحت كلُّ الأبواب الدهريَّة.

مزمور إنجيل قدَّاس عيد الصعود يقول: «ارفعوا أيها الملوك أبوابكم». هذه حقيقة، فلقد انفتحت الأبواب السماويَّة التي كانت مُغلقة في وجه الإنسان. فعندما دخلها المسيح وهو حاملٌ جسدنا الإنساني، لم يدخل وحده؛ بل دخل ومعه آدم وكل أولاده.

لاحِظ أنَّ المسيح عندما يقول: «**أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ**» (يو ١٢: ٣٢)، فهنا الدخول يأتي منه هو، وليس هو مقدرة ولا كفاءة أو إمكانية أو جهد منَّا.

ولكن افترض أنَّ الشخص تعب ووقع في الطريق، هل لا يدخل؟! أقول لكم، يا أحبَّائي: إذا كان الملك هو بنفسه الذي يأخذنا ويُصعِدنا من أول خطوة؛ فهو يستحيل أن يتركنا في

الطريق حتى لو سقطنا! هو سيحتضننا ولن يتركنا حتى نهاية الطريق، حتى نصل إليه. فلا يوجد سقوط من نعمة الله أبدًا.

طريق السماء مؤمَّنٌ بنعمة الله:

الطريق مؤمَّنٌ بنعمة الله وليس بجهد الإنسان. ولكن هذا لا يوحي بالطبع بأنَّ كلَّ مَن آمن لا يسقط، وأنَّ كلَّ مَنْ قَبِل المسيح لا يمكن أن يُخطئ. نحن كلُّنا مُعرَّضون للسقوط والخطأ. كلُّنا في خطر البُعد عن الله والحِرمان من السماويَّات إلى آخر لحظة من الحياة. ولكن الذين اختارهم الرب لم يصعدوا إليه بأنفسهم، أو تقواهم؛ لكن الرب هو الذي يجتذبهم: «**وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ ... أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ**» (يو ١٢: ٣٢).

«**أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ**»، كلُّ المطلوب منك فقط هو أنك تقترب من المغناطيس، تترك نفسك له، والباقي عليه. فهو سوف يجذبك إليه. لن يستطيع أحدٌ أن يمنعك أو يوقفك عن الانجذاب نحو المسيح، إلَّا إذا أنت عاندتَه وانجذبتَ بإرادتك إلى ما هو ضدُّه.

قوة الجذب السماوي:

هذا اليوم هو يوم فرح عظيم للبشريَّة. أصبح لنا مركز جذب سماوي يمكن أنه يدفعنا إلى فوق، وليس فقط يجذبنا، بل يجعلنا نجري: «اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ». هنا بُعْدُ الجذب يُعطي صورةً مُبدعة ومُفرحة للإنسان؛ فبمجرد أن ينجذب، لا يقدر أن يتباطأ؛ بمجرد أن يحصل جذب، سوف لا يقدر الإنسان أن ينام أو يُهمِل أو يتكاسل.

مَن ذاق الجذب الإلهي سيجري ويلهث بالرغم عنه، سيأخذ عافية أكبر من طاقته ومن إمكانياته. تجد عنده قوة الصوم، وقوة الصلاة، وقوة الميطانيات، وقوة الدموع، وقوة الحب والبذل.

هذا الجهد كله تتعجَّب من أين تحصَّل عليه الإنسان؟! إنها قوة جذب سماوي تفاعلت مع جهدٍ صغير داخل الإنسان، ولكنه ضُرب في ألف وفي عشرة آلاف. لذا لا تتعجَّب كيف أن إنسانًا كسولًا يملُّ من الصَّلاة، إذا به يقضي ساعتين في الصَّلاة أو أكثر، ولا يريد أن يُنهيها. لقد صار لنا في السماء مركز جذبٍ بصعود المسيح إلى فوق.

هذا الجذب هو نتيجة شفاعة مستمرة يطلبها لنا المسيح من الله الآب لأجلنا.

كلُّ سنة وأنتم طيبون.

من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

جراحات القائم من الموت [1]

❀ ❀ ❀

+ «اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لو ٢٤: ٣٩).

المطلوب منا اليوم ليس أن نقف متأمِّلين تحت أقدام الصليب؛ لكن علينا أن نجسَّ جراحات يسوع الناصري المصلوب القائم من بين الأموات.

الصليب والقيامة حدثان مُتلازمان، فلابد للموت (الصليب) قبل القيامة، كما أنَّ القيامة كانت كامنة في المسيح على الصليب. لذلك لم يكن مُمكنًا أن يُمسَك الرب يسوع من الموت (انظر: أع ٢: ٢٤)، رغم أنه اجتازه لأنه هو «الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥).

ويصعب على النفس إدراك قوة القيامة بدون شركة آلام الصليب (في ٣: ١٠)، أي بجسِّ جراحات الرب. وكأنَّ الربَّ أراد أن يؤكِّد لتلاميذه أنَّ القيامة هي في رؤية جراحات الرب وجسِّها (لو ٢٤: ٣٩؛ يو ٢٠: ٢٠، ٢٧). فمَن يشترك في آلام الرب ويحمل صليبه ويتبعه يؤهَّل لقوة القيامة وبهجتها. والآن أَعطِني، يا ربُّ، أن أذوق مع المريمات والتلاميذ بهجة قيامتك في لمس جراحاتك.

أولًا: «وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ وَسَجَدَتَا لَهُ» (مت ٢٨: ٩)

ربي يسوع: بعد ما أعتَقَتني قدماك من طريق الضلالة، أتقدَّم الآن مُمسكًا بهما ساجدًا لك. فالمسمار في رجليك كان من أجل خطاياي، ومن أجل ذلك، وأنا في بهجة القيامة، لا أكفُّ عن تقبيل آثار المسار في رجليك. فهذا الجرح هو الذي حرَّرني وأعتَقَني من طريق الضلالة (صلاة نصف الليل).

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد يناير ١٩٧١، ص ١٢.

١ – أمسك بقدميك:

أمسك بهما جيدًا، فعندما تتحرَّك قدماك أنت، تتحرَّك قدماي أنا. وعندما تقف قدماك أقف أنا مُمسكًا بهما. لا أريد أن يكون لي قدمان إلَّا قدماك أنت.

ربي يسوع، لا تسمح أن تتحرَّك قدماي إلَّا مع حركة قدميك: «تَارِكًا لَنَا مِثَالًا لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِ» (١بط ٢: ٢١). ولتكن رجلاي، يا ربي، باستعداد إنجيلك (أف ٦: ١٥). وليصبح كلامك مصباحًا لرجلي ونورًا لسبيلي (انظر: مز ١١٩: ١٠٥). عندئذ أكتب أعمالي تبعًا لأقوالك. فليس لي ذاتٌ منفصلة عنك، بل بحريتي أمسك بقدميك. لذلك أنا أُقدِّم لك مشورات حريتي (القدَّاس الإلهي).

ربي يسوع، ساعدني لأمسك بقدميك، لأنك أنت هو الطريق (يو ١٤: ٦). فالطريق بدأ من المذود حتى الجلجثة، ثم إلى القبر، فالقيامة. كلُّ القدِّيسين والشهداء الذين أمسكوا بقدميك، ساروا معك وبك في الطريق، ثم صعدوا معك إلى الصليب، فماتوا معك عن العالم، ثم دفنتَ آثامهم بقبرك، عندئذ أقمتهم معك، وأجلستهم معك في السماويَّات.

ربي يسوع، أنت وحدك هو طريقي، سأمسك بقدميك كلَّ أيام حياتي حتى الصليب، لتُبلغني إلى بهجة قيامتك، أُصْلَب معك، فأحيا لا أنا بل أنت تحيا فيَّ (غل ٢: ٢٠).

وعندما أمسك بقدميك فلا أرخيك عني (نش ٣: ٤). الكنيسة التي لا تمسك بك جيِّدًا تحكم على نفسها بالهلاك، لأنك "أنتَ حياتنا كُلِّنا، وخلاصنا كُلِّنا، ورجاؤنا كُلِّنا، وشفاؤنا كُلِّنا، وقيامتنا كُلِّنا" (أوشية الإنجيل).

الكنائس التائهة اليوم في مادياتها وعالميتها، ليس لها سبيلٌ للخلاص إلَّا بِمَسْك قدمَي الرب، وعدم إرخائه عنها. النفس البشرية المُضطَربة غير المستقرة، ليس لها إلَّا أن تُمسِك بقدمَي الربِّ يسوع، يسوع وحده، عندئذ ستصل إلى حالة من الاستقرار في قوة قيامة الرب.

يسوع وحده: احذري، يا نفسي، أن تمسكي بقدمَي يسوع مع العالم، فالاثنان يسيران في اتجاهين متضادين. أمسكي بقدمَي يسوع وحده، يا نفسي، ويا كنيستي، وحده فقط. فنحن نؤمن بإلهٍ واحد. أمسكي بشدَّةٍ بقدمَي الرب يسوع وحده، ولا تُرخِهِ عنكِ، لكي تفرحي معه في بهجة قيامته.

٢ – وأسجد لك:

الربُّ يسوع يطلب منكِ، يا نفسي، السجود بالروح والحق. وللسجود بعد القيامة معانٍ كثيرة في النفوس العابدة. فإن كنتِ، يا نفسي، قد ذُقتِ السجود بتذلُّلٍ في فترة الصوم الكبير، فالآن جاء الوقت لتذوقي السجود بالفرح، في فترة الخمسين؛ فأمسكي، يا نفسي، بقدمَي الرب، واسجدي مع مريم المجدلية.

(أ) **سجود الفرح:** فرح بالذي قام وكَسَرَ شوكة الموت. هذه الشوكة التي ذاق مرارتها كل إنسان، ولم يفلت منها إنسان، الآن كَسَرها الرب بقيامته. إنَّ شوكة الموت هي الخطية، والربُّ يسوع دان الخطية بالجسد، ومات لأجل خطايانا، وقام لأجل تبريرنا. اسجدي، يا نفسي، مع المجدلية التي سجدت بفرحٍ، لأنه حرَّرها من شهوات جسدها، وحرَّرها من السبعة شياطين، وحرَّرها من قيود العالم ومحبته. تهلَّلي، يا نفسي، وافرحي لأنه لم يَعُد للموت، موت الخطية (خطية العالم، والجسد، والشيطان) سلطان عليكِ، لأن يسوع قد كَسَرَ شوكة الموت. إنَّ جراحاتك، يا يسوع، تُفرِّحني جدًّا، إنها شهادة على آثار المعركة على الصليب، وانتصارك فيها.

(ب) **سجود الشُّكر:** شُكر الإنسان المديون الذي رفَعَ عنه الربُّ دينَه. إنَّ المرأة الخاطئة كانت مديونة بخمسمائة دينار، فتُرك لها كل ما عليها. من أجل ذلك أحبَّت كثيرًا، فشكرت كثيرًا (لو ٧: ٣٦-٥٠). يا نفسي، تعوَّدتي أن تشكري من أجل نجاح أو عطية مادية، وتنسي أن تشكري الذي دفع الدَّين عنكِ وحرَّركِ من عبودية إبليس: «وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥).

شُكر للذي أحبَّني إلى المُنتهى (يو ١٣: ١)، الذي أحبَّني وأسلَم ذاته لأجلي. شُكر للذي وهبني جسده ودمه وروحه، الذي أَخَذَ الذي لي وأعطاني الذي له. شُكر للذي تبنَّاني وصرنا به نصرخ: «يَا أَبَا الآبُ» (رو ٨: ١٦).

شُكر يقود إلى فيض من الحبِّ. حبٌّ يتحوَّل إلى تقبيل القدمين: «لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ» (لو ٧: ٤٥). فالمرأة التي لم تكُفَّ عن تقبيل قدميه، هي بعينها المرأة التي أمسكت بقدميه، وهي بعينها المرأة التي سكبت الطِّيب عند قدميه في توبتها، وهي ذاتها التي

أخذت الطِّيب في فجر الأحد لتضعه على جسد المُخلِّص، وعندما وجدته خارجًا من القبر، عندئذ أمسكت بقدميه وسجدت له.

(ج) **سجود التسليم:** يا نفسي، تذكَّري أنَّ: «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ» (رو ٨: ٣٢)! يا نفسي، إنَّ يسوع مات لأجلكِ وقام لأجلكِ، فكيف ينساكِ؟! يا نفسي، الربُّ يسوع إلهٌ قادرٌ قائمٌ غالب الموت، وهو إلهٌ محبٌّ للنهاية. إذن، سلِّمي له حياتكِ، وقولي: «... كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ» (رو ٨: ٢٨).

لقد صارت الحياة كلها له، فينبغي، يا نفسي، أن لا تعيشي من الآن لذاتكِ؛ بل للذي مات لأجلكِ وقام (انظر: ٢كو ٥: ١٥).

من أجل ذلك، يا إلهي، أسجد لك، وأضع حياتي كلها تحت تصرُّفك، في تكريسٍ كامل وأقول: "أُقدِّم لك، يا سيِّدي، مشوارت حريتي" (القدَّاس الإلهي).

ثانيًا: «أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ، فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ » (يو ٢٠: ٢٠)

١ – لأول مرة يكتشف التلاميذ أنَّ جراحات الرب تشعُّ الفرح في النفس، وبعد ذلك أدركوا أنَّ الآلام في حياتهم هي بنفسها مصدر فرحهم ومجدهم: «لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا» (٢كو ٤: ١٧). إنَّ جراحات الرب بعد القيامة كانت شهادة أبدية على حبِّه لكِ، يا نفسي، وجراحاتكِ من أجل يسوع هي إعلان حبِّك له، وهي سبب مجدكِ الأبدي، ومصدر فرحكِ. فلم يَعُد الألم عقابًا بل هبة: «لأَنَّهُ قَدْ وُهِبَ لَكُمْ لأَجْلِ الْمَسِيحِ لَا أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا أَنْ تَتَأَلَّمُوا لأَجْلِهِ» (في ١: ٢٩). فلم يَعُد الصليب مصدر ألم؛ بل طاقة لا يُعبَّر عنها.

"يأتي الشهداء حاملين تعاذيبهم، يأتي الصِّدِّيقون حاملين أتعابهم. يأتي ابن الله في مجد أبيه ويُجازي كلَّ واحدٍ حسب أعماله" (ختام التذاكيات الواطس).

في المجمع المسكوني الأول بنيقية سنة ٣٢٥م، كان أغلب الآباء الـ ٣١٨ الحاضرون قد اجتازوا شدَّة اضطهاد الوثنيين، فكان منهم المقطوع اليد، والمقطوع الرِّجل، والمقطوع اللسان، والمفقوء العين. وكان الملك قسطنطين يُقبِّل هذه الجراحات، وفرحت بهم الكنيسة. وجلس هؤلاء المجروحون وهم في نشوة الفرح يضعون لنا قانون إيماننا المسيحي.

٢ – وجراحات الرب لنا هي مصدر توبة مُفرحة للنفس. فكلَّما أتذكَّر جراحات الرب لي، أكره الخطية وأتوب، عندئذ تعمل قوَّة القيامة وبهجتها فيَّ. من أجل هذا، يا ربُّ، أنا أومن أنَّ جراحاتك تُسبِّب لي حزنًا على خطيتي، ولكنه حزن بحسب مشيئتك، فينتهي بتوبة لا ندامة فيها (انظر: ٢كو ٧: ١٠)؛ أمَّا حزن العالم فيُنشئ موتًا. لقد ظلَّ بطرس الرسول طوال حياته بعد القيامة كلما سمع صياح الديك، يُجدِّد توبته، ويفرح بالرب يسوع الذي نظر إليه وأقامه من سقطته. أمَّا القديس توما فظل طوال حياته يتذكَّر الجنب المطعون الذي لمسه بعد القيامة، فتسري فيه حرارة القيامة والتوبة عن الشكِّ.

٣ – وفرح التلاميذ، يا ربُّ، عندما رأوا جراحاتك: «فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ» (عب ١٢: ٣).

يا نفسي، افرحي وتشجَّعي وتشدَّدي، فأمامك رئيس الإيمان يسوع المجروح. جاهدي وتشجَّعي، فالقيامة مؤكَّدة. فيسوع الناصري المصلوب القائم من بين الأموات، هو بعينه يسوع المجروح.

فالجهاد الروحي، لم يَعُد ألمًا وحرمانًا وكبتًا، بل هو فرحٌ، وانطلاق. والجروح بعد القيامة كانت هي الشاهدة على اجتياز معركة الصليب بانتصار. فهي شهادة على النصرة، نصرة على العالم، وعلى سلطان بيلاطس، وبطش هيرودس، وعلى كبرياء اليهود ومكرهم، وعلى قوة الشيطان.

يا أحبَّائي الشُّبَّان، إن يسوع القائم بجراحاته، لهو أكبر شهادة على قوَّة القيامة في جسدكم المجروح بآلام العالم.

فلنسِرْ في هذا العالم مجروحين، ولكن غالبون. تشدَّدوا وتشجَّعوا، افرحوا وركِّزوا نظركم في رئيس إيمانكم، يسوع المجروح الغالب القائم، لئلا تَكِلُّوا وتخوروا؛ بل افرحوا مع التلاميذ عندما يُريكم الرب يسوع يديه وجنبه.

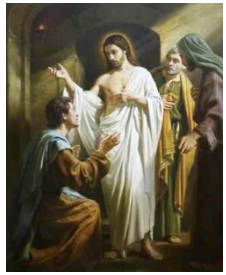

بمناسبة
عيد القيامة المجيد

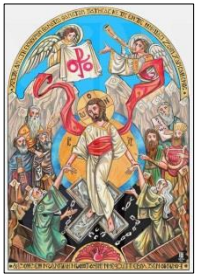

أقامنا معه

❀✚❀

+ «وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ ... وَأَقَامَنَا مَعَهُ» (أف ٢: ٥، ٦).

في ليلة عيد القيامة:

يجتمع المؤمنون معًا في ليلة أعظم الأعياد ليُشاركوا في مجد قيامة المسيح. لقد مضى وقت التوبة والحزن، وفي هذه الليلة نأتي بفرح ويملأ قلوبنا رجاءٌ مقدَّسٌ وثقة. فنتيقَّظ وننتظر لنرى "رجل الأحزان" قد تحوَّل إلى ظافرٍ يجعلنا مُشاركين في نصرته. وتتصف ألحان العيد بقمة الفرح، وتُطيل الكنيسة من هزَّات ألحانها لتتأمل وتُكرِّم فاديها الذي أكمل اليوم خلاصها، وهو ما يُعبِّر عنه **ق. أوغسطين** بقوله: [إننا نُطيل ألحاننا في هذه الليلة، لأن الذي نُكرِّمه بألحاننا سيمنحنا أن نملك معه في حياةٍ أبدية](١).

في هذه الليلة نُحقِّق معموديتنا، لأنه كما أنَّ المسيح مات ليقوم ومعه حياة جديدة؛ فنحن أيضًا قد متنا معه في المعمودية وقمنا في جِدَّة الحياة. وهذه المُمارسة قد أُعطيت لنا عندما تعمَّدنا كبذرة، علينا أن نتعهَّدها لكي تمتدَّ وتنمو على مدى الحياة! إنَّ عبورنا (أي فصحنا) من حالتنا العتيقة إلى حياةٍ جديدة، وطَرْحنا لصورتنا الدنيويَّة لنستبدلها بشخصيةٍ روحانية سماوية فائقة؛ إنما هو موتٌ وقيامة!

اليوم تُضيء شموع الفصح، رمز النور الحقيقي، في موكب دورة القيامة، فهو موكب المفديين، الذي بدورانه في الكنيسة كلِّها، يُشير إلى تبشير المفديين للمسكونة كلها بقيامة الربِّ الذي صار لكلِّ مَن يؤمن نصيبًا فيها! وألحان دورة القيامة تُسبِّح النور العظيم الذي صار مُضيئًا في بيت المؤمنين، لأنه إن كانت الخطية تختبئ في الظلمة والتشويش، فالحياة صارت الآن تُبهج بنورها الذين قادتهم في موكب النصرة: «شُكْرًا للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ

---

(١) كتابات الآباء مقتبسة من المرجع الرئيسي لهذا المقال، وهو كتاب:
Death and Resurrection, by Vincent A. Yzermans, Minnesota, U. S. A., 1963.

نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ» (٢كو ٢: ١٤). كما أننا نُدرك التغيير الرائع: فنحن نسير من ظلمة الموت إلى بهاء نور الحياة، لأن المخلِّص أعدَّ أرضنا وأعطانا عليها موطئًا أكيدًا لأقدامنا!

المسيحيون الأوائل شهدوا لقيامة الربِّ بواسطة الفرح المجيد الذي ملأ حياتهم. وقد سَرَى فرحهم فينا كالعدوى، إذ أعطوا لنا مثالًا لروح الفرح التي يجب أن نُعيدها لعالمنا المليء بالفساد والتشويش. إنَّ الاحتفال، بل بالحري الفرح والبهجة، بعيد قيامة المسيح، يُشاركنا وينضمُّ إلينا فيه حتى القوات السماويَّة. فالملائكة ورؤساؤهم والقدِّيسون بقاماتهم ورُتبهم، يحتفلون معنا بهذه المناسبة التي كانوا قد وقفوا فيها بتيقُّظٍ منتظرين رجوع المسيح الرب ملك السماء المنتصر من الأرض، بعد أن سبى سبيًا من البشر الذين فداهم، وذلك بعد أن فرحت الأرض بهم لأنهم اغتسلوا بالدم الإلهي. نعم، إنه ملأنا بالفرح في هذا اليوم، لأنه بآلامه خلَّصنا، وبموته وهبنا الخلود، وبقيامته شفى جروحنا ورفعنا معه إلى المجد!

ويقول **ق. إغناطيوس الأنطاكي**: [بمجرد أن لمس تلاميذه جسده وعظامه ونبضه آمنوا، ولهذا السبب ازدروا بعد ذلك بالموت، بل إنهم أظهروا أنهم أسمى من الموت]. وقيامة الرب كانت هي بداية عودته المنتصرة إلى الآب، ولأننا تشكَّلنا على هيئة قيامته، فمُشاركتنا له فيها تعني أننا نحن أيضًا بدأنا فعلًا في العودة إلى أبينا السماوي، كما يقول **ق. أوغسطين**: [قام الرب ليُعطينا رجاءً أنَّ الذي يموت سيقوم أيضًا مرةً أخرى، لئلَّا يجعلنا الموت نيأس ويخدعنا بالظنِّ أنَّ حياتنا قد انتهت! ففي الحقيقة، إننا قلقون على نفوسنا، ولكنه بقيامته أعطانا هذا اليقين... لقد نزل من السماء ليشفينا، وعاد إليها ليرفعنا إليها معه]. وفي إحدى عظات **ق. أوغسطين**، يُثبِّت إيماننا بتأكيده على وحدانية جسد المسيح السرِّي، بقوله: [هو رأس الكنيسة والكنيسة هي جسده، فالمسيح كله الذي يشمل الرأس والجسد (معًا) قام من الموت. إذن، فرأسنا في السماء، وحيثما يوجد الرأس توجد بقية الأعضاء، فلا نيأس لأننا سنتبع رأسنا]!

ماذا نتعلَّم من أحداث القيامة؟

عندما اقتربت المريمات من القبر تزلزلت الأرض: «عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ» (مت ٢٨: ١و٢). وفي ذلك يقول **ق. هيلاري الذي من بواتييه**: [أشارت الزلزلة إلى قوة القيامة. الآن قد اهتزَّ الجحيم بانزعاج، لأن شوكة الموت قد سُحِقَت، والأماكن المُظلمة قد امتلأت بالنور بقيامة ربِّ القوات]!

ولماذا منع الربُّ مريم المجدلية أن تلمسه، بينما طلب من الرسول توما أن يلمس جروحه؟ سجَّل لنا **ق. أوغسطين** ردَّه على هذا السؤال بمقارنة لطيفة قائلًا:

[بعد أن شكَّ ق. توما الرسول في قيامة الرب، كان سيُرسَل للتبشير بالإنجيل، فكيف كان سيؤسِّس اعتقادًا فيما لم يؤمن به هو نفسه؟ إنه عندما شكَّ، كان يريد أن يحصل على الإيمان باللَّمس. فإذا كان الربُّ قد جاء لكي يُلمَس، فلماذا قال لمريم المجدلية: «لَا تَلْمِسِينِي لأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي» (يو ٢٠: ١٧)؟ فهو يقول لامرأةٍ آمنت: لا تلمسيني، ولرجلٍ لم يؤمن قال: المسني.

عندما نادى الربُّ المجدلية باسمها: «يا مريم»، تعرَّفت في الحال على الرب بالطريقة التي ذَكَرَ بها اسمها ومن صوته المعروف وسلطانه، وبذلك جعلها سعيدة، فأجابت كما اعتادت: «ربُّوني»، أي أنها آمنت. ثم قال لها الرب: «لا تلمسيني». ولكنه لمَّا ظهر لتلاميذه في وجود توما، قال لتوما: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلَا تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ مُؤْمِنًا» (يو ٢٠: ٢٧)، وكأنه يقول: "إن كنتُ لا أُقدِّم دليلًا كافيًا لعينيك، أُقدِّم نفسي ليدك، فلعلك أنت أحد الذين يرتِّلون كلام المزمور: «في يوم ضيقي التمستُ الرب، يدي في الليل انبسطت أمامه» (مز ٧٦: ٣ سبعينية)". فلماذا يبحث بيديه؟ لأنه كان يبحث في الليل. وهذا يعني أنَّ قلبه كان مُثقلًا بظلال عدم الإيمان! وهذا الثِّقَل حلَّ أيضًا على الذين أنكروا أنَّ جسد الرب حقيقي. فالمسيح لم يكن في حاجة أن يحمل ندبات جروح المسامير والحربة في جسده، ولكنه سمح لها أن تبقى لكيما تُمحى جروح عدم الإيمان من قلوب البشر!

لقد احتاجت مريم المجدلية أن تسمع المسيح ينطق اسمها فقط لكي تؤمن أنه قام، فأيُّ فرقٍ نجده بين إيمانها وإيمان تلميذَي عمواس اللذين آمنا بعدها عندما رأياه مرةً عندما كَسَر الخبز؟ لقد رأته مريم وكأنه في حجابٍ من الظلام، وهذان التلميذان رأياه في الخلاء، ومع ذلك فقد آمنت هي وهما أيضًا عند رؤيتهم له. وبعد ذلك ظهر لجميع التلاميذ ولكنهم «ظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا» (لو ٢٤: ٣٧)، ومع ذلك فقد أخرجهم من هذا الانطباع الفارغ وعَهَدَ إليهم بالحقِّ الجليِّ الذي لا يُخطئ.

ولو كان المسيح يريد أن يبقى تلاميذه في الاعتقاد بأنه روح، فأنتم أيضًا يجب أن تعتقدوا بذلك. فالذين يعتقدون بذلك وأنه ظهر كشبح ولم يكن له جسدٌ حقيقي،

يُشاركون التلاميذ في ظنِّهم، فإيمانهم مجروح. فليُشفَ إيمانهم كما حدث مع التلاميذ، لأنهم لمَّا ظنُّوا ذلك، قال لهم: «لِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ» (لو ٢٤: ٣٨)؟ وكأنه قال لهم: "لم يأتِ عدوٌّ من الخارج، بل إن شكوكًا من الداخل خنقت أرواحكم". وكان الربُّ يخاف أنَّ هذه الشكوك تقتل إيمانهم. وأنتم أيضًا يجب أن تخافوا من مثل هذه الشكوك، فإذا كان المسيح الذي يشفينا يخاف من شكوكنا، فعلينا نحن المرضى ألَّا نظل في اللامبالاة بإزائها.

«لِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ اُنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ. جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لو ٢٤: ٣٨ و٣٩). فنظروا ولمسوا وآمنوا وبشَّروا به. فكلام الربِّ حقيقيٌّ هو لأنه أَظْهَر جسدًا حقيقيًّا، وندبات جروحه حقيقيةٌ هي، لأنه حَمَل أعضاء جسده حتى إلى السماء. ولكنه لم يحمل معه إلى السماء فساد الجسد، فإنَّ جسده يُعلِن انقضاء الموت.

قال الرب لتلميذه (توما): «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يو ٢٠: ٢٩). فالذين ستُبشِّرهم بي يا توما سيتفوقون عليك في الإيمان! إنك بعد أن رأيتني ولمستني بالكاد آمنتَ، ومع ذلك فسيُصدِّقك أولئك الذين لم يروني ولا لمسوني قط وسيؤمنون بي!... ولكن لماذا سُمِحَ لتوما أن يلمس دون المجدلية؟ أجاب الربُّ على هذا السؤال بقوله: «لأني لم أصعد بعد إلى أبي». أي: "المسه بالحري وهو صاعدٌ إلى الآب"! وما معنى ذلك؟ لقد أَخَذَ شكل عبد لأجلك، فليس بالأمر العظيم أن يُرى الجسد، فاليهود الذين قتلوا الرب رأوا الجسد، والأمم الذين آمنوا به لم يَرَوْا الجسد، فكأنه يقول للمجدلية: "إذا كنتِ ترينني الآن، أي ترين أعضاء جسدي ووجهي كما تعرفينها، فأنتِ لا تقدرين أن تلمسيني هكذا". وهذا يعني ألَّا تظلِّي على هذا المستوى، ولا تُركِّزي انتباهكِ دائمًا على الجسد، ولا تجعلي ذلك أن يكون هو حدود إيمانكِ! وكأنه يقول لها: "أريدكِ أن تؤمني بي كإنسانٍ، ولكن لا تظلِّي هكذا، بل امتدِّي بيد إيمانكِ ولا تمكثين على هذا المستوى"!

هكذا تلمسه الكنيسة في قانون إيمانها قائلةً: "صعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه". والكنيسة أشارت إليها مريم المجدلية! فلا تَدَع المسيح يظهر لك كإنسانٍ فقط ولا تقف عند هذا المستوى. انهضْ مُسْبقًا وسِرْ إلى الأمام، فالمسيح كإنسانٍ هو

طريقك، والمسيح كإلهٍ هو هدفك وبيتك!][2].

معاني روحية للقيامة:

جدَّدت قيامة الرب وأَصلحت كلَّ خليقته، كما يقول **ق. بطرس كريزولوغس**: [قد رأيتم أنه دُفِنَ حتى لا يمكن أن يقول أحدٌ إنَّ موته كان خياليًّا. وقد جدَّد كلَّ ما في السماء، وأَصْلح كلَّ ما على الأرض، وفكَّ أَسْر الذين تحت الأرض (أي الذين في الهاوية) خلال فترة الأيام الثلاثة التي قضاها (بالجسد) في القبر. وبذلك فقد أباح الرب نعمة الثالوث القدوس لكلِّ البشر لأجل خلاصهم].

وق. ذهبي الفم يوضِّح أنَّ النصرة ليست بالعنف والشر، بل باحتمال الظلم بقوله: [ذاك الذي بدا أنه مهزومٌ يوم صَلْبه، ها هو يقوم الآن بنصرة باهرة، هكذا أيضًا هو الأمر معنا. إنَّ الذي يُؤخذ إلى الاستشهاد، ينتصر بتقييده وضربه وتشويه جسده وذبحه. فنحن لا نغلب أبدًا بأن نؤذي الآخرين، بل إننا في جميع الأحوال ننتصر بتحمُّلنا للظلم، وهذا يُظهِر أنَّ النصرة الحقيقيَّة هي من الله. إذن، فلنتبع النصرة الحقيقية التي تُكتَسَب بالآلام الظالمة، ولنهرب من كلِّ عمل شر. وبذلك فإننا نعيش هذه الحياة الحاضرة بكلِّ سكينة، وفي نفس الوقت، ننال كلَّ خيرات الحياة العتيدة بنعمة ومحبة ربنا يسوع المسيح].

ويُعتَبَر هذا العيد أعظم عيد للرجاء، وهو يوضِّح الفرق بين النور والظلمة، وبين مجد السماء وعذاب الجحيم. ويقول في ذلك **القديس أمفيلوخيوس** (أسقف إيقونية باليونان: ٣٣٩ – ٤٠٠م): [إن كان الموت قد بدا أنه أمسك بربنا يسوع المسيح؛ إلَّا أنه لم يظل قابضًا على الحياة، فبعودة الرب إلى الحياة يُعيدنا جميعًا إلى الحياة. بإرادته الحُرَّة قبض عليه الموت، ولكنه قام وصار الجحيم فارغًا. بالأمس وهو على الصليب أَظْلَم نور الشمس حتى صار النهار ليلًا. واليوم فَقَدَ الموت قوَّته وبدا أنَّ الموت ذاته تقريبًا قد مات. بالأمس ناحت الأرض وفي حزنها التحفت برداء الظلمة، واليوم «الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا» (إش ٩: ٢)].

نصرة الرب صارت لنا، وأيضًا مجده صار لنا. لقد سما الرب بنا ورفعنا إليه جاذبًا إيَّانا إلى نفسه، وفيه وجدنا حياتنا الجديدة. ولذلك فإننا نصيح في هذا العيد بملء الفرح: «هَلِّلُويَا، الْخَلَاصُ وَالْمَجْدُ وَالْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ لِلرَّبِّ إِلهِنَا» (رؤ ١٩: ١)، هذه التسبحة لن تنقطع من

(1) *Sermon 10, On the Faifth Feria of Easter*, Selected Sermons of St. Augustine, p. 61.

أفواهنا في الأبدية، ولكنها تبدأ من هنا! لقد خُلقنا لكي نُسبِّحه، هذا هو فرحنا ومجدنا وقيامتنا! وعلينا أن نواصل هذه التسبحة، ليس في عيد القيامة فحسب؛ بل لتقديس حياتنا بأكملها، وإذا زَحَفَ أيُّ خطأ على حياتنا فلنُحطِّمه على الفور بتوبةٍ صادقة. وهكذا نقوم باستمرار من خطايانا، ونستحق أن نشترك في القيامة الأبدية بأجسادنا المُمجَّدة في المسيح.

قيامة الرب يمكنها أن تُجدِّد كلَّ البشر وتُعيد ولادتهم من جديد: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بط ١: ٣). والربُّ بقيامته يشحن الجميع بشرارة مجده، إذ يجتذب كلًّا منَّا إلى فرح قيامته. أي إن القيامة لها فاعلية لا تنتهي، فمسيحنا يقول لنا في فجر كلِّ عيد قيامة: «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣)!

لقد قضينا أيام الصوم الكبير مُكرِّسين أنفسنا في مُعاناة الصوم تابعين المُخلِّص حتى إلى الجلجثة، ولكننا لا يمكننا أن نتوقَّف هناك، فالمسيح قاسَى آلام الصَّلْب كشرط للقيامة، فإنَّ رجل أوجاع جمعة الصلبوت هو ملك المجد لكلِّ الأزمنة. والمسيحي ينبغي أن يتألم، ولكن الألم هو جواز المرور إلى المجد، لأن الفرح والمجد هما جوهر المسيحية، وفي ذلك يقول **ق. أوغسطين**: [الأيام المقدَّسة التي نحتفل فيها بعد عيد القيامة، تُشير إلى الحياة الآتية بعد قيامتنا. فالصوم الكبير قبل العيد، يُشير إلى آلام هذه الحياة المائتة؛ ولكن أيام الفرح التالية، تُشير إلى الحياة العتيدة حيث نملك مع الرب].

حالتنا بعد قيامتنا:

ينبغي أن نؤمن أنَّ أجسادنا سيُنعَم عليها بمجدٍ سماوي بعد قيامتنا. هذا هو رجاؤنا المقدَّس في فرح الحياة العتيدة. هذا هو اليقين الذي يناله كلٌّ منَّا هذه الليلة، لأن مُخلِّصنا قد أعدَّ لنا نصيبًا في قيامته ومكانًا في ملكوته. إنه هو بِكْر الخليقة الجديدة التي انبثقت من قيامته، وقد تنازَل وجعلنا إخوة له ومُشاركين له في تلك الحياة الجديدة. وهكذا يتقوَّى إيماننا ويتجدَّد رجاؤنا ومحبتنا الأخويَّة، لأننا اتَّحدنا في جسد الرب الواحد القائم المنتصر. وهنا يقول **ق. أمبروسيوس**: [إذا لم نَقُم مرةً أخرى يكون المسيح قد مات باطلًا، بل إنه ما كان قد قام من الموت قط. لأنه يقينًا إن لم يكن قد قام لأجلنا، فهو لم يَقُم لأجل أيِّ أحدٍ، حيث إنه لم يكن في حاجة أن يقوم لأجل نفسه وحده. لقد قام الكون كله فيه، لأنه ستوجد سماءٌ جديدة وأرضٌ جديدة]!

ولإلهنا القائم من بين الأموات كلُّ مجدٍ وكرامةٍ من الآن وإلى الأبد، آمين.

بمناسبة
الخمسين المقدَّسة

دليل القيامة، هل هو كافٍ؟[1]

❖✚❖

نقدِّم في هذه المقالة بحثًا عقلانيًّا: هل القبر الفارغ الذي دُفِنَ فيه المسيح، ثم وُجِدَ فارغًا بالرغم من حراسة الجنود الرومان، هو تبريرٌ كافٍ لدى الجماعة المسيحية القديمة منذ القرن الأول الميلادي، بأنَّ المسيح قد قام من القبر وهو مُغلَقٌ من الخارج وتحت حراسة الجنود الرومان؟

وللإجابة على هذا التساؤل، يجب أن تكون الأدلة كمحاولة عادلة مع عدم التحيُّز.

ظَهَرَ لكثيرين:

إنَّ النصوص الواردة في الأناجيل الأربعة تُبيِّن أنه لابد أن يكون هناك إيمانٌ قبل رؤية الرب القائم من الموت.

+ "توما" التلميذ "الشكَّاك" للمسيح، كان لابد أن يقتنع بالرؤية قبل الإيمان، لأنه لم يكن حاضرًا وقت ظهور المسيح للتلاميذ في العلِّيَّة في المرَّة الأولى، فلما قالوا له بعد ذلك، قال لهم: «إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لَا أُومِنْ». ولكن بعد ثمانية أيام جاء الرب يسوع في العلِّيَّة، وكان توما مع التلاميذ؛ فلما رأى كلَّ شيءٍ، آمن بقيامة الرب (يو ٢٠: ٢٤-٢٩). وهكذا، فإنَّ تلميذَي عمواس اللذين كانا مُسافرَيْن ورأيا المسيح في الطريق، لم يتعرَّفا عليه؛ ولكنهما عرفاه عند كَسْر الخبز حسب عادته، فانفتحت أعينهما، وآمنا (يو ٢٤: ٣٠،٣١).

+ ولا أحد يستطيع أن يقرأ العهد الجديد دون أن يهتمَّ بأن يفحص الآيات التي تُشير إلى

---

(١) من كتاب: "تأملات في شخص المسيح الحي"، إعداد: المُتنيِّح الأب الراهب باسيليوس المقاري (٧/ ٦/ ١٩٣٤- ١/ ١/ ٢٠٢١)، طبعة أولى، ٢٠٢١، ص ٤٣٣.

الرب القائم من بين الأموات. فالأناجيل الأربعة تُسجِّل تقارير عديدة عن مثل هذه الأحداث.

+ لقد رأته مريم المجدلية وهي ذاهبة إلى قبره ومعها الحنوط، فلم تنتبه إلى شخص المسيح، وظنَّت أنه البستاني (يو ٢٠: ١٥). ونساءٌ أُخريات رجعنَ من القبر (مت ٢٨: ٨-١٩)، وكذلك بطرس الرسول (لو ٢٤:٣٤؛ ١كو ١٥:٥).

+ ثم رآه التلاميذ في العلِّيَّة (فيما عدا "توما") (يو ٢٠: ١٩-٢٣)، ثم ظهر الرب لهم مرةً أخرى وكان معهم "توما"، في الأحد التالي (يو ٢٠: ٢٦-٢٨). ثم ظهر الرب للتلاميذ السبعة بما فيهم «سِمْعَانُ بُطْرُسُ، وَتُومَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ التَّوْأَمُ، وَنَثَنَائِيلُ الَّذِي مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ، وَابْنَا زَبْدِي، وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ» على بحر طبرية (يو ٢١: ١،٢). «وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ، أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الآنَ. وَلكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَقَدُوا» (١كو ١٥: ٦). «وَبَعْدَ ذلِكَ ظَهَرَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ لِلرُّسُلِ أَجْمَعِينَ» (١كو ١٥: ٧). وكل هؤلاء شهدوا عيانًا بصعود المسيح (مت ٢٨: ١٨-٢٠؛ مر ١٦: ١٩؛ أع ١: ٣-١٢). وقد أضاف بولس الرسول نفسه لهذه القائمة (١كو ١٥: ٨). ويذكر سِفْر أعمال الرسل أنَّ هذه الظهورات امتدَّت إلى ٤٠ يومًا، غير الظهورات التي لم تُسجَّل.

القبر الفارغ:

في فجر القيامة، قامت النسوة بزيارة القبر، حيث دُفِنَ فيه جسد الرب يسوع (لم يَذهَبْنَ يوم السبت، لأنه كان مُحرَّمًا في شريعة موسى أن يَقُمْنَ فيه بأيِّ عمل). فتعجَّبنَ، إذ رأيْنَ القبر مفتوحًا، وجسد يسوع ليس موجودًا فيه! وها هو الدليل الأول، إذ أنَّ "القبر فارغٌ"! وباختصار، فإنَّ الرسل بدأوا يُعلنون بأنَّ الرب يسوع قد قام. فلقد كان من الصعب الاقتناع بأنَّ الرسل قد ابتكروا هذه القصة، إذ كان من الممكن أن يتمَّ سَحْقُها بسهولة عن طريق ظهور الجسد المقدَّس. ولكن لم يأتِ أحدٌ بجسد المسيح، إلى الآن!

اعتراضات مُضادة يجب أَخْذُها في الاعتبار:

لقد كان من المستحيل أن يكون اللصوص قد خدعوا الحُرَّاس ورفعوا الحجر الضخم الذي على باب القبر، وأخذوا الجسد المقدَّس وكذلك الأكفان. ولكن ما هو الدافع المُمكن أو المُحتَمَل لذلك؟!

+ فإن كان الرؤساء أنفسهم هم الذين أَخذوا الجسد، فسيكون لديهم وتحت تصرُّفهم،

ما يؤدِّي لإسكات الذين يُعلنون القيامة، وسيكون عندهم الدوافع الكافية لاتِّخاذ هذا الإجراء. وهذا فقط إن كان لديهم الجسد حقًّا! وطبعًا ليس عندهم هذا الجسد. فالقبر صار فارغًا. فإن كان لدى المسئولين السلطان لدحض القيامة، فإنَّ حيويَّة الكنيسة ستتبدَّد سريعًا. ولكن لم يكن في سلطانهم تفنيد القيامة، لأن ليس لديهم الجسد المقدَّس. أمَّا صمتهم المكتوم فقد أعطى وزنًا ومعقولية للكرازة بقيامة المسيح.

+ وكلُّ هذه النظريات قاصرة وغير كافية. ولذلك، فكلُّ هذه التفسيرات الكلاسيكية العتيقة هي أكثر معقولية من الروايات البسيطة التي عندنا، والتي أخبرنا بها أشخاصٌ يمكن أن نتهمهم باضطرابٍ عقلي أو بالنفاق!

+ ولكن شهادة تلاميذ المسيح كانت بسيطة. فالله الآب أقام الرب يسوع لتثبيت أو إعطاء الشرعيَّة لكَونه هو "المسيح"، ولإثبات بنوَّته الإلهيَّة! وأخيرًا، إنَّ الحُكْم التاريخي لابد سيكون على جانبٍ أو لآخر. فذاكرة الجماعة الرسولية قد أَرجَعَت الحياة إلى المسيح حيًّا قائمًا من الموت، وليس طريقًا وَسَطًا!

هل أكفان الموت تُرِكَت مُبعثرة، أم مَطْويَّة بعناية؟

لقد وَصَفَ الإنجيل الأكفان أنها كانت متروكة داخل القبر، مَطْويَّة بعناية، كما وصفها القديس يوحنا (٢٠: ١-٩)، وأنَّ جسد الرب يسوع لم يكن داخل القبر! بينما الأكفان كانت هناك موضوعة بعناية في المكان وفي نفس الموضع الذي دُفِنَ فيه جسد المسيح، وكذلك لفافة الرأس عند الرأس!

+ وهذا الوصف يحمل علاماتٍ خاصة لعينَي الشاهد الذي «رأى وآمن» بنفس الدقَّة. لقد وصل يوحنا للقبر أولًا ونظر إلى داخل، ولكن بطرس هو الذي دخل أولًا، ثم دخل يوحنا بعد ذلك ورأى شيئًا ما، وفي الحال اقتنع بأن الربَّ يسوع قد قام!

+ والقصة كُتِبَت بالتدقيق، فيقول القديس يوحنا: «فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضًا التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَآمَنَ» (٢٠: ٨). فأيَّة شهادة وبرهان رآها القديس يوحنا، حتى أنها أثارت إيمانه الفوري؟ ولكن ليس مجرَّد عدم وجود الجسد يعني قيامة المسيح! ولكن بأيَّة طريقة كانت الأكفان موضوعة؟ كأنَّ الجسد كان موضوعًا داخلها، ثم حينما قام المسيح، انفلت الجسد من الثياب، وترك الأكفان كما هي! ولكن تَرْكها بحالةٍ مُرتَّبة

مُهندمة، فهذا يُثير الدَّهش (يو ٢٠: ٦،٧).

+ هذا هو ما رآه بطرس ويوحنا، وأثار الإيمان فيهما في الحال! إنه لأمرٌ مُدهش أن يكون عندنا هذا الوصف الدقيق الحاسم لشاهد (أي يوحنا الرسول) كان حيًّا منذ ٢٠ قرنًا من الزمان!

+ لا يوجد تتمَّة أخرى مُتوقَّعٌ حدوثها تُؤيِّد الأكاذيب بأنَّ الجسد سبق أن أَخَذَه التلاميذ ولفُّوه في قماش كتَّان. ولكن لا شكَّ بأنَّ الربَّ يسوع "قد مات"، و"دُفِنَ" في القبر! ثم أُغْلِقَ القبر من الخارج وخُتِمَ عليه. لقد بَدَأت مراسم الدَّفن يوم الجمعة، وظلَّ الجسد في القبر طيلة السبت، ثم أتى اليوم التالي بعد السبت (فجر الأحد) حينما أتت النسوة إلى القبر.

لقد أتت النسوة إلى القبر ليُتمِّمن مراسم الدفن. فإذا كُنَّ متوقِّعات قيامة الرب، ما أَتينَ إلى القبر! ولكن، كما ذَكَرَ إنجيل مرقس، أنه «بَعْدَ مَا قَامَ (الرب) بَاكِرًا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ ظَهَرَ أَوَّلًا لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ ... فَذَهَبَتْ هذِهِ وَأَخْبَرَتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ... فَلَمَّا سَمِعَ أُولئِكَ أَنَّهُ حَيٌّ، وَقَدْ نَظَرَتْهُ، لَمْ يُصَدِّقُوا» (مر ١٦: ٩-١١). وشرح القديس لوقا مشاعر التلاميذ عندما سمعوا من النسوة عن عدم وجود جسد يسوع في القبر، فقال: «فَتَرَاءَى كَلاَمُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ» (لو ٢٤: ١١).

+ وحتى بعد ذلك، وفيما هم يتكلَّمون بهذا، وقف الرب يسوع نفسه بعد قيامته في وسطهم في العلِّيَّة، وقال لهم: «سَلاَمٌ لَكُمْ! فَجَزِعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا» (لو ٢٤: ٣٦،٣٧)، ولذلك «وَبَّخَ (الرب) عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ» (مر ١٦: ١٤).

+ يبدو ذلك وكأنَّ التلاميذ صَعُبَ عليهم ما سمعوه، ولم يكونوا مُستعدِّين لقبول حَدَث "قيامة" الرب من الموت، بهذا الشكل المُكثَّف الحقيقي. وهذا يعني وكأنَّ التلاميذ كانوا يتوقَّعون قيامة "غامضة"! ولكن العكس هو الذي حدث، إذ أنَّ "توما" رَفَضَ "بعناد" أن يعترف بالقيامة، «فَقَالَ لَهُمْ (لبقية التلاميذ): "إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ إِصْبِعِي فِي أَثَرِ الْمَسَامِيرِ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ، لاَ أُومِنْ"» (يو ٢٠: ٢٥).

وهذا بالكاد كان أبعد ما يكون عن تصوُّر التلاميذ أن تكون "قيامة" يُقاومونها، أو الحذر والتشكُّك في حدوثها. وقد أشار الرب يسوع إلى ذلك، عندما تَقَابَل مع تلميذَي عمواس، قائلًا لهما: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ» (لو ٢٤: ٢٥).

+ ويُشير إنجيل يوحنا بالتحديد، في نفس الوقت، إلى أنَّ بطرس والتلميذ الآخر (يوحنا) وصلا إلى القبر الفارغ ليفحصانه، «لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الأَمْوَاتِ» (يو ٢٠: ٩).

+ ولكن الظروف العشوائية المختلفة التي ظَهَر فيها الرب يسوع لكثيرٍ من الناس، كانت معظمها في أماكن عادية، وليست في أماكن ذات ذكريات مُقدَّسة؛ بل إنَّ بعضها كان طريقًا بعيدًا عن أورشليم، وبعضها كان خروجًا للصيد عند بحيرة "طبرية"، وأخرى كانت في أماكن غير موصوفة كالبستان. وكانت مشاعرهم عندما يلتقون مع الرب، مُتنوِّعة للغاية: منها كان الحزن (مريم المجدلية)، ومنها كانت الشكوك (توما)، والخوف (النسوة)، والندم (بطرس). وبعض ظهورات الرب، كانت لأشخاصٍ بمفردهم، وأخرى لمجموعاتٍ صغيرة، وأخرى لمجموعاتٍ كبيرة. فهي لم تكن على نمطٍ واحد في المواقف والظهورات.

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

****

– ٣٣ –

قيامة المسيح وقيامتنا

+ «هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ» (مز ١١٨: ٢٤).

تمهيد:

حينما قال الربُّ يسوع لمرثا: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥)، فقد أضاف هنا "القيامة" إلى حقيقة المسيح الأصليَّة، التي هي الحياة: «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ» (يو ١: ٤). فالمسيح الكلمة حيٌّ بألوهيَّته مع الآب: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الاِبْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ» (يو ٥: ٢٦)، فالابن هو الوحيد الذي كانت له الحياة في ذاته، وبغيره لم يكن شيءٌ ممَّا كان (انظر: يو ١: ٣)[١].

أمَّا الحديث عن القيامة فقد جاء نتيجة لدخول الموت إلى الطبيعة البشريَّة، حيث أصبحت القيامة ضرورة لكي تعود نفوسنا إلى الحياة مرةً أخرى، ولا يمكن أن يتمَّ هذا الأمر إلَّا بواسطة ينبوع الحياة نفسه، الذي له القدرة أن يهبنا الحياة مرةً ثانية (بالقيامة) لكلِّ مَن يؤمن بموت الربِّ وقيامته، لأنَّه هو واهب الحياة منذ البدء، وهو: «... خُبْزَ اللهِ ... النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ» (يو ٦: ٣٣)، وهو أيضًا «الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو ١١: ٢٥).

فالمسيح الكلمة - الذي هو القيامة والحياة - وقف أمام قبر لعازر ليُقيمه من الموت ويُعطيه الحياة مرةً ثانية، لأنَّه هو «الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ» (١تي ٦: ١٦)، الذي يقول عنه القديس أثناسيوس الرسولي: [هو خلق من البدء كلَّ شيء من العدم وحده. الذي يستطيع أن يجعل الإنسان غير مائت، لأنَّه الحياة بذاتها][٢].

فالمسيح بقيامته قد أعلن عن قوة الحياة الأبديَّة الكائنة فيه، التي أشرقت من داخل الموت، تلك القيامة التي ارتبطت بالصليب - رمز المحبة والطاعة - لذلك قام الربُّ

---

(١) "قيامة المسيح"، د. نصحي عبد الشهيد، ص ٩.

(٢) "تجسُّد الكلمة"، القديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. جوزيف فلتس، فصل ٢٠: ١.

حاملًا في جسده آثار جراحاته وآلامه وعذاباته والمسامير والحربة، لتكون شاهدةً على عمق محبته لجنس البشر إلى الأبد.

قيامة المسيح وقيامتنا:

إنَّ موت المسيح بالنسبة لنا يعني موت العالم القديم والإنسان العتيق بكلِّ ضعفاته، وقيامة المسيح صارت لنا البشارة المُفرحة بعالمٍ جديدٍ وبدايةٍ جديدةٍ، وبانتشار سلطان البرِّ والحقِّ والقداسة والفرح والسلام، واعتُبِرت قيامة المسيح بعينها قيامة لكلِّ الجنس البَشريِّ، وإعلانًا بانفتاح باب الملكوت أمامه.

فالربُّ يسوع قد قام من الموت ناقضًا أوجاعه، التي مَلَكَت على الخليقة العتيقة كلِّها، وكبَّلتها بأربطة الموت في عبوديةٍ مُرَّة، واقتحم بموته جحيم الموت وأماته، وكسَّر مصاريع أبواب الجحيم النُّحاسيَّة، وفكَّ أربطة الموت عن آدم وبنيه، وأطلق أسرى إبليس، مُبشِّرًا لهم بالعِتْق والحياة كخليقةٍ جديدة. وهكذا ابتُلِع المائتُ من الحياة (٢كو ٥: ٤)، الذي هو "المسيح"، بعدما افتقد الربُّ جُبلته بسبب محبته للبشر، وأبطل عزَّ الموت، الذي كان بمثابة العدوِّ الأخير والمُرعِب بالنسبة للإنسان، وأقامه في جِدَّة الحياة.

قيامة المسيح، بالنسبة لنا، إذن، تعني أنَّ الطريق إلى الأرض الجديدة والحياة الجديدة، قد صار مفتوحًا، بعدما أباد المسيح بموته وقيامته ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس (انظر: عب ٢: ١٤). وبقيامة المسيح نلنا نحن أيضًا البرَّ به (أي بالمسيح)، «لأنَّ غاية الناموس هي المسيح للبرِّ لكلِّ مَن يؤمن» (رو ١٠: ٤). فكلُّ مطالب الناموس قد أتمَّها المسيح في جسده، وصار هو غاية الناموس، ليكون هو أيضًا برًّا لكلِّ مَن يؤمن به ويُبشِّر بموته ويعترف بقيامته.

كذلك فإنَّ قيامة المسيح قد وهبتنا الولادة كخليقةٍ جديدة، ليس للشيطان أو الخطيَّة سلطانٌ عليها بعد، وصار لنا من قِبَلها رجاء الحياة الأبدية. كما نلنا بقيامة الربِّ قوة القيامة التي بها نستطيع النُّصرة على إبليس وكلِّ جنوده، حتى وإن سقطنا؛ فنحن - بالمسيح - قادرون بتوبتنا أن نقوم ونغلب بنعمته، لأنَّنا لم نَعُد بعد عبيدًا للخطيَّة، بل أبناء وورثة لإلهنا الحيِّ.

الإيمان بالقيامة:

القيامة، إذن، فعلُ قوَّةٍ إلهيَّةٍ كائنة في المسيح، بها يقدر أن يَهَب الحياة للجميع، وإن كانت الأناجيل لم تصف لنا كيفيَّة حدوث القيامة، لأنَّ هذا أمرٌ فائق على الإدراك والمعرفة البشريَّة؛ لكن كلُّ الشواهد اللاحقة لحدث القيامة قد أكَّدت حدوثها. ولعلَّ من أبرز هذه الشواهد العلامات الآتية:

١- **القبر الفارغ:** كان القبر الفارغ أول العلامات والإشارات لإعلان قيامة المسيح، التي أعلنها الملاك للنِّسوَة حاملات الطِّيب بقوله: «لمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا لكِنَّهُ قَامَ!» (لو ٢٤: ٦). ثمَّ يأتي دور الرسولَيْن بطرس ويوحنا؛ حيث كان منظر الأكفان وتصوُّر خروج الجسد منها بطريقةٍ مُذهِلة، كافيًا لهما للإيمان والإيقان بالقيامة، حيث يُعبِّر يوحنا الرسول بالروح عن نتيجة مُعاينته للأكفان بقوله: «وَرَأَى فَآمَنَ» (يو ٢٠: ٨). وكذلك مريم المجدليَّة عند زيارتها للقبر المقدَّس، واكتشافها عدم وجود جسد الربِّ يسوع به، فبكت أولًا بسبب حزنها وضعف إيمانها، ولكن حزنها سرعان ما تحوَّل إلى فرحٍ بسماعها نداء الربِّ يسوع لها، ثمَّ رؤيتها لشخصه المُبارك حيًّا أمامها!

٢- **ظهورات المسيح المُتعدِّدة بعد القيامة:** أظهر المسيح نفسه مراتٍ عديدة لشهودٍ معيَّنين، ليقوموا هم أيضًا - بعد تمام تحقُّقهم وتأكُّدهم من حقيقة القيامة - بالشهادة لها، كبشارة فرحٍ بالحياة الأبديَّة والفداء الأبدي اللذين نلناهما من قِبَل قيامة المسيح المقدَّسة؛ ومن ثمَّ، بدء الكرازة ببداية حياة الخليقة الجديدة وانتشار ملكوت الله على الأرض، من قِبَل هذه القيامة المجيدة.

ويوثِّق لنا البشيرون في الأناجيل، وكذلك بولس الرسول، العديد من ظهورات الربِّ بعد قيامته كمثالٍ حيٍّ لظهوراته الكثيرة، فالبشيرون ذكروا ظهورات الربِّ لهم عدَّة مرات وفي أماكن مختلفة، ولأفرادٍ وجماعاتٍ متنوِّعة، مثل: ظهوره لمريم المجدليَّة، وللنِّسوَة الأُخريات حاملات الطِّيب، ولتلميذَي عمواس. بينما ذَكَرَ بولس الرسول ظهور الربِّ له، وظهوره لآخرين، وظهوره أيضًا لجماعة من التلاميذ بلغت خمسمائة شخص مرَّةً واحدة، كان بعضهم ما زال على قيد الحياة إبَّان كتابة بولس الرسول رسائله (١كو ١٥: ٥-٨)، ولكن يُلاحَظ في تسجيلات بولس الرسول أنَّه لم يأتِ على ذِكْر ظهور المسيح للنِّسوة؛ وربما يرجع هذا لأنَّه كان يَعْلَم أن شهادات النِّسوَة لا يَعتدُّ اليهود بها ولا يوثِّقونها أو يأخذون بها، بحسب تقاليدهم.

وإضافة للظهورات الفعليَّة التي وثَّقها البشيرون وبولس الرسول، تُطلُّ علينا النبوَّات ورموز العهد القديم المتواترة والعديدة، بل وكلمات الربِّ يسوع نفسه التي تُشير، بل وتُحدِّد كلَّ تفاصيل موت الربِّ وقيامته باستعلانٍ مُبهِر، لتشهد كلُّها بقوة على صِدْق وتحقُّق القيامة، والتي بدأ الربُّ يسوع نفسه بشرحها وكَشْف أسرارها لتلميذَي عمواس عند ظهوره لهما، قبل أن يتعرَّفوا عليه، فألهبَ قلبيهما بالشوق نحوه، وفَتَحَ ذهنهما لفهم الكتاب والنبوَّات عنه، حتى انفتحت أعينهما وأبصراه عند كَسْر الخبز. فالنبوَّات التي يعجُّ بها العهد القديم عن قيامة الربِّ كفيلةٌ وحدها بدعم الإيمان بقيامته، وذلك لكلِّ من يؤمن أكثر من أيِّ دليلٍ آخر، أو حتى رؤيا العين، ويؤكِّد بولس الرسول هذا المعنى بقوله المتكرِّر لإظهار أهمية النبوَّات والكتاب في دعم الإيمان بتعبيره: «وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ **حَسَبَ الْكُتُبِ**» (٢كو ١٥: ٤).

تحقيق القيامة وفاعليتها[٣]:

أولًا: القيامة كفعلٍ زمني وتاريخي: كما سبق القول، فإنَّ تحقُّق القيامة الذي تمَّ على المستويَيْن الزمني والتاريخي، المنظور والموثَّق؛ سواء كان بشهادة الشهود الذين رأوا القيامة وعاينوها ولمسوها، أو بظهورات الربِّ لهم بعد قيامته وتحدُّثِه معهم ومُشاركتهم في طعامهم، أو بشهادة الكُتُب المقدَّسة والنبوَّات عن حتميَّة موته وقيامته بالجسد؛ فقد صار تحقُّق القيامة بهذه الصورة والملامح (زمنيًّا وتاريخيًّا)، وكأنَّها آخر معجزات المسيح التي يُتمِّمها لنا (زمان تجسُّده على الأرض)، والتي صارت هي المدخل الوحيد والمفتاح السرِّي للدخول إلى إدراك كلِّ أسرار أفعال المسيح الخلاصيَّة، بل وكلِّ أسرار الإنجيل كلِّه، فقد ألقت القيامة المنظورة وتحقُّقها الضوء على كلِّ حياة المسيح، الذي استُعلِن بقيامته ربًّا وإلهًا. فانكشفت لنا تدبيرات تجسُّده، ومعموديته ومعجزاته، وكلَّ أقواله وأعماله الفائقة، وموته الفدائي وقيامته المجيدة، بعدما أدخلها المسيح - بحقيقة قيامته المنظورة - إلى داخل دائرة الزمن والحواس، لتظهر لنا في دائرة التحقُّق والمعقول، رغم أنَّ الإيمان بهذه الأمور يلزم أن يتحقَّق بدون أيِّ فعلٍ زمني! ولكن القيامة المنظورة صارت ختمًا ونورًا كاشفًا لكلِّ الإنجيل.

---

(٣) "توجيهات وكلمات في الحياة الرهبانيَّة"، كلمات وعظات للأب متى المسكين ألقاها على الآباء الرهبان في وادي الريان، ص ١٣٠، ١٣١.

ثانيًا: القيامة كفعلٍ روحي غير منظور ولا زمني: لم يُحدِّد المسيح على وجه الدِّقة أو الوضوح أزمنة حياته على الأرض، سواء زمن ميلاده أو معموديته أو كرازته أو موته، أو أيَّ حدثٍ تاريخي من سيرة حياته بالجسد على الأرض، مثلما حدَّد بكلِّ وضوحٍ ودقَّةٍ موعد قيامته من بين الأموات وزمان حدوثها؛ وذلك لأنَّ إتمامها (أي القيامة) وتحقُّقها يربطنا مباشرة بتحقيق كلِّ أحداث الإنجيل وفهمها والمُصادقة عليها.

ونحن لا نقدر أن نؤمن ونحِسَّ بقيامة المسيح وقوَّتها، ما لم نقبل أولًا روح القيامة؛ ولن نشعر أو نُدرك حضور المسيح معنا وفي داخلنا، ما لم نقبل قوَّة القيامة في ذواتنا، تلك التي نلنا عربونها في المعموديَّة.

كيف نقدر أن نقبل روح القيامة غير المنظورة في داخلنا؟

١- بتصديقنا وقبولنا لكلمة الله وكلمة النُّبوَّة الشاهدة بقيامته، مثل تلميذَي عمواس اللذان لم يتعرَّفا على المسيح السائر معهما، إلَّا بعدما قبلوا الكلمة، وصدَّقاها فنالا قوَّة القيامة، وانفتحت أعينهما عند كَسْر الخبز. وكذلك مريم المجدليَّة، التي لم تتعرَّف على المسيح القائم، رغم رؤيتها له، إلَّا بعد أن وهَبَها المسيح نفسه قوَّةً سرِّية في حديثه معها، فالتفتت وصرخت: "ربُّوني" الذي تفسيره: "يا مُعَلِّم".

٢- باتصالنا المباشر مع المسيح: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠)، وذلك كعلاقةٍ شخصيَّة قائمة على المحبَّة الكاملة والأمانة والطاعة وحفظ وصاياه، وحينئذٍ سوف يُظهِر لنا المسيح ذاته، ويملأ بحضوره البهيِّ كياننا: «... وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي» (يو ١٤: ٢١).

٣- بتجرُّدنا الداخلي وتغرُّبنا عن العالم وشهواته، وانفكاكنا من رُبُط الناس والعالم، لتسري فينا قوَّة القيامة وروحها: «فَإِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ» (كو ٣: ١).

فالقيامة فعلٌ إلهي، ولن يعمل فينا هذا الفعل إلَّا إذا فتحنا قلوبنا لنتقبَّله كقوَّةٍ فاعلةٍ حقيقيَّة حاضرة، لا كوعدٍ آتٍ، لأنَّ عدم التعرُّف على المسيح هو نتيجة طبيعية لعدم قبول روح القيامة داخلنا، بسبب ضعف الإيمان، وهذا الأمر استلزم أن يوبِّخ المسيح أصحاب مثل هذا الإيمان الضعيف، كما صنع مع التلاميذ الأحد عشر، وتلميذَي عمواس.

أسباب عدم إيمان التلاميذ أولًا بالقيامة[٤]:

تتلخَّص أسباب عدم إيمان التلاميذ أولًا بالقيامة، واختلاط مشاعرهم وتحيُّرهم، إلى النقاط التالية:

١- عدم استطاعتهم الجمع بين سَحْق الصليب، وما رأوه من مذلَّةٍ وضَعف من المسيح عند صلبه، وبين نُصرة القيامة ومجدها، وهو ما يُعرف بمضادة الخلاص.

٢- تصوُّر القيامة بالنسبة للتلاميذ كان كأنَّها حالة مجدٍ روحيٍّ غير عاديٍّ، وغير جسديَّة، سوف يصحبها حالة من القوَّة والمجد والسلطان، ولكن هذا سيكون في المجيء الثاني.

٣- الانحصار في الحوادث الزمنيَّة، وعدم الالتفات لكلمات النُّبوَّة عن أحداث صَلْب المسيح وقيامته حيًّا، ولا إلى كلمات المسيح لهم عن هذه النبوَّات، ولا لكلماته عن موته وقيامته ووعوده لهم، وبالتالي عدم تذكُّرها أو تصديقها.

٤- عدم تصوُّرهم إمكانية انتهار الموت وبُطلان قوَّته وسلطانه واندحاره أمام رئيس الحياة:«أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (١كو ١٥: ٥٥)، وبالتالي عدم تصوُّر إمكانية قيامة الجسد ليعود كما كان أولًا.

لقد كان وَعْد المسيح لتلاميذه بأن يَرَوه بعد قيامته، ليس وعدًا برؤيته بالجسد فقط، بل بعين الإيمان أيضًا، وهذا الوَعْد هو لهم ولجميع الأجيال اللاحقة؛ وذلك من قِبَل حضوره الدائم فيهم بروحه القدوس. فلم يَعُد أمر التحقُّق من القيامة يعتمد على الرؤية الجسديَّة بالعينين، لذلك نرى التلاميذ لم يحزنوا عندما صعد الربُّ أمام أعينهم إلى السماء، بل رجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيم (انظر: لو ٢٤: ٢)، وذلك لثقتهم في رؤياه وحضوره الدائمين في قلوبهم وحياتهم، عندما يَحلُّ الروح القدس الذي سيُرسله الآب لهم يوم الخمسين كوَعدِ المسيح الصادق، حيث سَرَت فيهم قوَّة القيامة، فجالوا مُبشِّرين وشاهدين بقيامة الربِّ المجيدة.

أخيرًا، نتذكَّر كلمات لحن: "Τοῦ λίθου لمَّا خُتِمَ": "... قُمتَ، في اليوم الثالث أيها المُخلِّص: مانحًا الحياةَ للعالم: لأجل هذا قوَّاتُ السمواتِ تَهتفُ لك يا وَاهبَ الحياة: المجدُ لقيامتِكَ أيها المسيح، المجدُ لملكوتِكَ، المجدُ لتدبيرِكَ، يا محبَّ البشر وحدَك".

---

(٤) عظة ألقاها قدس أبينا الروحي القمص متى المسكين، على الآباء الرهبان بوادي الريَّان، بمناسبة عيد القيامة المجيد، سنة ١٩٦٧م، ص ١١.

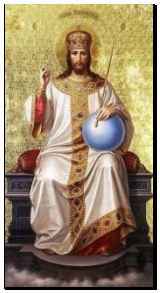

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]

(٤)

(١) هل يمكن معرفة الله؟

أعلن الله نفسه لنا في ابنه يسوع. قال الربُّ يسوع: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤: ٩). يكتب يوحنا الرَّسول ويقول: «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآب هُوَ خَبَّرَ» (يو ١: ١٨). كلمة (خبَّر) هي الفعل exegisato (شَرَحَ) في اليونانيَّة الأصليَّة. إنَّها نفس الكلمة التي اشتُقَّت منها كلمة exegesis والتي تعني "تفسير"، وهكذا نقول إنَّ يسوع هو (the exegesis شَرْح) الآب. مِن خلال يسوع يمكننا أنْ نأتي لنعرف الله، ولكن فقط بالقدر الذي يمكننا فهمه كبَشَرٍ محدودين. هناك أكثر بكثير عن الله ممَّا نراه في يسوع.

يؤكِّد الكتاب المقدَّس وآباء الكنيسة على أنَّ جوهر الله يبقى مجهولًا وغير مفهوم. قال الله: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ I AM WHO WHO I AM». يهوه YHWH يبقي غير معروف. لا يمكن لأحدٍ أنْ يخترق جوهر الله، ونحن نقصد بالجوهر طبيعة الله. يكتب القدِّيس بولس ويقول: «الله ... سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ» (١تي ٦: ١٦).

لهذا فإنَّ الله معروفٌ وغير معروفٍ معًا. إنَّه غير معروفٍ بالنِّسبة لجوهره، ومعروفٌ حسب طاقاته الطبيعيَّة التي تصل إلى الإنسان لتقوده إلى الله. إنَّ "طاقات energies" الله هي نفس ما يَطْلق عليه الكتاب المقدَّس"نعمة grace" الله.

عندما سأل موسى الله في العهد القديم أنْ يسمح له برؤية مجده، قال الله: «لَا تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي، لأَنَّ الإِنْسَانَ لَا يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر ٣٣: ٢٠)، لذلك عندما عَبَر، غطَّى الله وجه موسى حتى لا يرى سِوَى "أجزاء ظهره" وليس وجهه (خر ٣٣: ١٨-٢٣)، أو كما تقول ترجمة

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Anthony M. *Coniaris، Knowing God Life's Highest Purpose & Joy.*

كامبردج Cambridge Bible: "سُمِحَ لموسى أنْ يرى نور الشَّفَق afterglow الذي تبع الله" (خر ٣٣ :٢٣). وحتى في هذا الملجإ، الذي كان فيه موسى مَحْميًّا في شقٍّ صخريٍّ في كَتِفٍ جبلي، مع حماية يد الله، يقول أحد المفسِّرين: "إنَّ الاقتراب مِن القدير لابدَّ وأنْ يكون بالنِّسبة لموسى وكأنَّه تعرَّض لقوَّةٍ مسبِّبة للعَمَى، والقوَّة المتمثِّلة في انفجارٍ نووي".

أمثلة أخرى مِن العهد القديم على عدم إمكانيَّة الاقتراب مِن الله، نراها في إشعياء الذي كان يخشى أنْ يموت لأنَّه رأى الله عاليًا ومرتفعًا على عرشه. حتَّى السيرافيم كانوا يُغطُّون أعينهم مِن حضور الله (إشعياء ١: ٦-٧).

(٢) جبل مُنْحَدِر و صعب التسلُّق:

العهد الجديد يتبع العهد القديم في إعلان جوهر الله المجهول وغير المعروف. يقول الكتاب: «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ» (يو ١: ١٨، ١يو ٤: ١٢)، و"أنَّه يسكن في نورٍ لا يُدْنى مِنه" (١تي ٦: ١٦). تَقَابل القدِّيس بولس مع الله وهو في الطَّريق إلى دمشق في ضوءٍ يُعمي البصر، ويُخبرنا القدِّيس بولس مرَّتين أنَّه لا يعلم، ولكن الله وحده يعلم بالضَّبط ما كان يختبره. عندما اختُطِف إلى الفردوس، رأى الله رؤية لا تستطيع الكلمات أنْ تُعَبِّر عنها، وبحسب قوله: «لَا يُعَبَّرُ عَنْهَا» (٢كو ١٢: ١-٤)؛ وفي (رو ١١: ٣٣)، يستند القدِّيس بولس على (إش ٤٠: ١٣ و إر ٢٣: ١٨)، ليُذَكِّرنا بأنَّ طُرُق الله لا يمكن أنْ تُستَقْصَى، ويقول: «مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الِاسْتِقْصَاءِ!». لا يمكن لأحدٍ أنْ يعرف تمامًا فِكْرَ الله. كتب القدِّيس غريغوريوس النيصي St. Gregory of Nyssa يقول:

[إنَّ معرفة الله جبلٌ شديد الانحدار وصعب التسلُّق].

يرى القدِّيس بولس في الكتابة إلى أهل كورنثوس فجوةً هائلة بين حكمة الله الفائقة وهشاشة كلِّ فكرٍ بشري، فيقول:

«أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟ لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ... لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ!» (١كو ١: ٢٠-٢١، ٢٥).

(٣) معرفة الله مِن خلال الحواس الخمس:

بحسب التَّقليد، فقد استخدمت الكنيسة الأرثوذكسيَّة الحواس الخمس لتُساعدنا أنْ

نختبر حضور الله المُتعالي؛ وعلى سبيل المثال، تُستخدم الأيقونات، والفن المعماري... إلخ، لجذب العيون لرؤية هذه الأمور؛ والموسيقي الطقسيَّة لجذب الأُذُنين؛ والإفخارستيا لحاسَّة التذوُّق؛ والبخور لحاسَّة الشَّم؛ والمَسْح بزيت الميرون والزيت المقدَّس (زيت مَسْحة المرضى) لحاسَّة اللَّمس. هذه وسائل حسيَّة تجذب الحواس الخمس، وتُساعدنا في رحلتنا نحو فهم الإله غير المفهوم وغير المحدود. نحن بحاجةٍ إلى كلِّ مساعدة يمكننا الحصول عليها في هذا الصَّدد، والكنيسة توفِّر لنا ذلك.

يجب أنْ نُدرك أنَّ القليل مِن الحقيقة التي كشفها الله عن نفسه هي فقط "قليل مِن الحقيقة" عن الله الذي يفوق الفهم، وحتى في المسيح لم نَرَ أو نُدرك الحقيقة الكاملة حول جوهر الله، فقط نُدرك جزءًا صغيرًا منها؛ لكنَّه كافٍ لنا لنكتسب معرفة خلاصيَّة عنه.

كان القدِّيس سلوان Staretz Silouan" يُصلِّي ويقول:

[أيُّها الرُّوح القدس، لقد كشفتَ لي سرًّا يتجاوز الفهم].

(٤) بعض أقوال آباء الكنيسة على معرفة الله:

آمن القديس أفرام السُّرياني Ephrem the Syrian مع العديد مِن آباء الكنيسة بأنَّه يلزم على العقل الذي لديه معرفة بشيءٍ ما، أنْ يكون أعظم مِن الكائن الذي هو موضوع معرفته. وبكلماتٍ أخرى، لو أنَّك تستطيع فهم شيءٍ ما، فأنتَ أعظم مِن هذا الشيء الذي تفهمه، ولهذا فإنَّ الله الذي مِن الممكن معرفته كليًّا ليس إلهًا، بل المرء الذي يعرفه يكون هو الله. أنْ تعرف اسم الله هو أنْ يكون لديك قدرة تفوقه، وتحوي كلمات القديس أفرام هذا المعنى، فيقول:

[القادر على الفحص، يصبح إناءً لِمَا يفحصه؛ المعرفة التي تَقْدر على احتواء العِلْم بكلِّ شيء تصبح أعظم مِنه، لأنَّها أثبتت قدرتها على قياسه برمَّته. وبالتَّالي، فإنَّ الشَّخص الذي يفحص الآب والابن يجب أنْ يكون أعظم منهما! ما أبعد هذا الأمر، إذن، بل وهو مرفوض، أنْ يتمَّ فحص الآب والابن، بينما يُعَلِّي التراب والرَّماد مِن شأنْ نفسه!] (على الإيمان ٩: ١٦).

وكتب القديس يوحنا ذهبي الفم بخصوص عدم قدرتنا على فهم الله، فيقول:

[دعونا نبتهل إليه كإلهٍ لا يمكن التَّعبير عنه، فهو غير مرئي وغير معروف. دعونا

نعترف أنَّه يفوق كلَّ قوَّة الكلام البَشَري، وأنَّه يستعصي على الفهم مِن كلِّ ذكاء البَشَر، وأنَّ الملائكة لا تستطيع أنْ تسبر أغواره، ولا السيرافيم أنْ يراه بكلِّ وضوح، ولا أنْ يفهمه الشَّاروبيم فهمًا مطلقًا، لأنَّه غير مرئي للسَّلاطين والرِّئاسات والقوَّات، وكلِّ الخلائق دون استثناء؛ الابن والرُّوح القدس فقط هما اللذان يعرفانه].

شَرَح القدِّيس غريغوريوس النِّيصي ذات مرَّة الآية: «لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ» (جامعة ٣: ٧) ورَبَطها بعدم قدرتنا على معرفة الله، فقال:

[في الحديث عن الله، عندما يوجد سؤال عن جوهره، فهذا هو الوقت المناسب للصَّمت؛ ومع ذلك، فعندما يتعلَّق السُّؤال بقدراته (energia)، هذه المعرفة التي يمكن أنْ تنحدر إلينا، فهذا هو الوقت للتحدُّث عن القوَّة الكليَّة مِن خلال سرد أعماله وشرح أفعاله، واستخدام الكلمات لخدمة هذا الغرض].

(٥) كيف يجب أنْ نَرُدَّ على عدم فهم الله؟

يتحدَّث القدِّيس يوحنا ذهبي الفم عن هؤلاء الذين يطلبون سببًا وعِلَّة لكلِّ ما يحدث لهم، ففي أحاديثه عن العناية الإلهية Providence، يشنُّ هجومًا على العقل السَّائب (المُطْلق العنان)، فيكتب:

[العقل الفضولي منشغلٌ بأسئلة عبثيَّة، يريد أنْ يفهم أسباب كلِّ شيء يحدث، ويتصارع بشكلٍ مثير للجدل مع العناية الإلهيَّة غير المفهومة وغير الموصوفة].

ويمضي في القول: إنَّ العقل البشري غير المُنضبط يرفض الاعتراف بأنَّه يتعامل "مع موضوعٍ لانهائي في طبيعته"، أي جوهر الله.

يُقدِّم القدِّيس يوحنا ذهبي الفم القدِّيس بولس كمثال للشَّخص الذي تراجع أمام عدم الفهم لغير محدوديَّة الله. أراد القدِّيس بولس أيضًا استقصاء عمق وروعة العناية الإلهيَّة، لكن "تغلَّب عليه نوع مِن الدُّوار أمام استحالة تفسيرها". لماذا؟ يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم: "لأنَّ معرفة الله لا حدود لها" و"غير قابلة للاستقصاء" و"غامضة" و"لا توصَف" و"تفوق كل فهم".

القدِّيس يوحنا ذهبي الفم لا يتجاهل العقل، ومع ذلك هو يجزم أنَّ محاولة فهم الله بعقولنا المحدودة تكون "جنون وحماقة"، لأنَّ العقل البشري محدودٌ جدًّا وضعيفٌ

مقارنة بالله غير المحدود. يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم إنَّه بمجرَّد أنْ ندرك محدوديَّة وضعف الطَّبيعة البشريَّة، نفتح الباب لتقبُّل أعظم ما يريد الله أنْ يُعلنه لنا، فيوضِّح أنَّ:

[الله يُعْلِن ذاته للعقل البشري، كلَّما يستجيب لله في إيمانٍ].

ومِن ثمَّ يجب علينا أنْ نُذْعِن بثبات لحكمة الله غير المفحوصة وعمق محبَّته الخفيَّة، إنَّ طُرُقنا ليست كطُرُق الله: «لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ» (إش ٥٥:٨-٩).

يستخدم ذهبي الفم مثال الطبيب، فيوضِّح أنَّنا نكون على استعدادٍ للخضوع لمبضع الجرَّاح والأدوية المُرَّة، لأنَّ لدينا وعيًا عميقًا بجهلنا في الأمور الطبيَّة، مقارنة بخبرة الجرَّاح لمدَّةٍ طويلة ومعرفته. ويناقش أنَّه إذا كان مِن السَّخف لنا أنْ نسأل الطَّبيب، فكم يكون مِن الحماقة والغرور لنا أنْ نسأل في حكمة وحب الله اللامتناهي لنا.

كما قال القدِّيس ذهبي الفم:

[المجد لله في كلِّ شيء. لن أتوقَّف عن هذا القول مهما حدث لي].

(٦) كلَّما عرفنا أكثر كلما قلَّت معرفتنا:

يقول أحد العلماء الدَّارسين إنَّ العالَم الذي خلقه الله مذهلٌ للغاية في جماله وتعقيده لدرجة أنَّه كلَّما تعلَّمنا وعرفنا عنه أكثر، كلَّما قلَّت معرفتنا به. فيروي ويقول كيف أنَّه منذ قرنٍ مضى كان الرَّسم التَّخْطيطي diagram للخليَّة بسيطًا، وبعد عشرين عامًا كان الرَّسم البياني لنفس الخليَّة أكثر تعقيدًا. ويقول إنَّ الرَّسم البياني للخليَّة اليوم مُعقَّدٌ للغاية لدرجة أنَّه يُحَيِّر عقل المرء؛ وإلى الآن لا يزال العلماء لا يملكون الصُّورة الكاملة لِمَا تتضمَّنه خليَّة واحدة فقط.

إذا كان عمل يد الله (خليَّة صغيرة واحدة فقط) يُذْهِل العقل، فكيف نتوقَّع أنْ نفهم الله بالكامل؟ أبسط خليَّة في الجسم معقَّدة للغاية لدرجة أنَّ العلماء البارزين لا يزالون يحاولون اكتشافها. طبيعة الضَّوْء، سواء كانت جُسيمًا أو موجةً أو أيَّ شيءٍ آخر لا يزال لُغزًا. إنَّ وحدات البناء الأساسيَّة لعالمنا غامضة للغاية، سواء كانت ذرات أو بروتونات أو إلكترونات أو نيوترونات أو كواركات لدرجة تجعل الفيزيائيِّين مُتَحيِّرين.

الحياة اللِّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[1]

(٤)

القرن الخامس والقرن السادس للميلاد

مقدِّمة عامة:

ظلَّت الحضارة المصريَّة القديمة تُنازع البقاء حتى القرن الثَّالث الميلادي، وتضعضعت أساساتها في القرن الخامس الميلادي أيام البابا ثاؤفيلس البطريرك الثالث والعشرين (٣٨٤-٤١٢م)، ولم تلبث أن انهارت تمامًا مع غروب القرن السَّادس الميلادي. أي أنَّ المسيحيَّة حتى ذلك التاريخ لم تكن قد أصبحت عقيدة غالبة في مصر.

ولم يكن انهيار الحضارة المصريَّة القديمة هو فقط أحد أبرز سِمَات هذه الفترة، لأنه أيضًا في منتصف القرن الخامس الميلادي وإثر مجمع خلقيدونيَّة سنة٤٥١م، حدث انشقاقٌ بين الكنائس الشرقيَّة إلى كنائس شرقيَّة قديمة أو كنائس لاخلقيدونيَّة، أي لا تؤمن بمقررات هذا المجمع؛ وكنائس خلقيدونيَّة تؤمن بمقرراته. ومع حدوث هذ الانشقاق أفل نجم مدرسة الإسكندريَّة، وبعد حين اندثرت معالمها. فيغيب القرن الخامس وتغيب معه مدرسة الإسكندريَّة اللاهوتيَّة، وتدخل كنيسة الإسكندريَّة في عهودٍ مُظلمة، حتى يُخيِّم عليها الجهل في العصور الوسطى، باستثناء فترة بسيطة منها. فقد كان ازدهار الكنيسة اللاهوتي، مُقترنًا بازدهار مدرستها اللاهوتيَّة.

وإنَّ أحد أهم أسباب هذا التَّدهور في الكنيسة القبطيَّة، هو أنَّ كنيسة الإسكندريَّة قد عَبَرَت على ثلاث لغات، هي اليونانيَّة والقبطيَّة والعربيَّة. ففي أواخر القرن الخامس أُهْمِلَت اللغة اليونانيَّة، لغة الحضارة آنذاك، بعد الأحداث المؤسفة التي تعرَّض لها الأقباط من جراء مجمع خلقيدونيَّة، حيث رَفَض الأقباط كلَّ ما يمُتُّ إلى الرُّوم بِصلة، حتى لغتهم أيضًا، دون أن يُدركوا مقدار الخطإ الوخيم الذي وقعوا فيه، إذ عزلوا أنفسهم بأنفسهم عن ماضي كنيستهم ذاتها. فانفصلوا عن أساسيَّات لاهوت كنيستهم وعقيدتها وتعاليم آبائها والمُدوَّن كلُّه باليونانية، وانقطعت الصِّلة بين ماضيهم وحاضرهم، وباتوا كأنهم سيبدأون حياتهم الإيمانيَّة من جديد.

---

(١) نُتابع في هذا العدد تقديم موجز عن التاريخ اللِّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، وهو عن كتاب للراهب أثناسيوس المقاري، صَدَرَ بنفس الاسم، سنة ٢٠١٨م.

وكانت الضَّربة القاضية للُّغة اليونانيَّة مع خروج الرُّوم من مصر بعد دخول العرب إليها سنة ٦٤٢م.

وما إن أفاق الأقباط حينًا إلى لُغتهم القبطيَّة الوطنيَّة، حتى كان التضييق عليهم بمنع استخدامهم لهذه الُّلغة، والذي بدأ منذ أوائل القرن الثَّامن الميلادي، حتى تمَّ القضاء عليها في القرن الحادي عشر للميلاد. وباتت كلُّ مخطوطات الكنيسة وكتاباتها وتآليفها وحياتها الّليتورجيَّة المُدوَّنة بالقبطيَّة – ومن قبل باليونانيَّة – طلاسم لا يستطيع فكَّها أبناءُ الذين كتبوها. فانعزل حاضر الكنيسة عن ماضيها، وهي أعنف محنة أدبيَّة يمكن أن يتعرَّض لها شعب من الشُّعوب، حين تفقد الأُمة صِلتها بماضيها. وكان على القبطي الرَّاغب في الرُّجوع إلى تراث آبائه، أن يقرأه بلُغةٍ أجنبيَّة حيَّة، فصار كمَن لا يستطيع أن يُقيت نفسه بنفسه، ويلتمس مَن يُعدُّ له الطعام ويُطعمه أيضًا. وهو في ذلك ليس له أن يختار ما يُقدَّم له، حُلوًا كان أمْ مُرًّا.

واكتملت المحنة، عندما صارت الُّلغة العربيَّة نفسها لُغةً غير مُتقَنة لدى كثير من الأقباط على مدى العصور التَّالية. فكانت هذه الضائقة الثُّلاثيَّة الأبعاد كفيلة بأن تقضي على حضارة أعرق أُمة في الأرض، وأقدمها على الإطلاق.

بعض سِمَات ليتورجيَّة القدَّاس الإلهي في القرنين الخامس والسادس للميلاد:

+ تحليل الخُدَّام، هو طقسٌ قديم في الكنيسة، اكتمل تمامًا بشكله الحالي منذ القرن السادس.

+ يُرفع البخور أثناء قراءة فصل الإنجيل المقدَّس. والذي يقرأ الفصل هو رئيس الشمامسة، ولابد أن يكون الكلُّ وقوفًا. وعند القراءة يقوم الأُسقُف عن كرسيِّه، وينزع التاج عن رأسه.

+ انتقال طقس القُبلة المقدَّسة من قبل تقديم الحَمَل، لتكون بعده (ومع ذلك، فقد ظلَّ مردُّ الشمَّاس في الكنيسة القبطيَّة، مُحافظًا على التَّرتيب الطَّقسي القديم لهذه الجزئيَّة من القُدَّاس الإلهي، حين يأتي النداء بالقُبلة المقدَّسة، ويعقبه النِّداء بتقديم القرابين).

+ تبلورت عقيدة تقديس القرابين بواسطة حلول الرُّوح القدس عليها لتصير قانونًا إفخارستيًّا في مصر، أيام البابا ثاؤفيلس الـ ٢٣ (٣٨٤- ٤١٢م).

+ دخول نصوص صلواتٍ جديدة على القدَّاسات القبطية، مُستعارة من الطَّقس السرياني أو الكبادوكي، مثل صلوات الصُّلْح، وصلوات الحجاب، وصلوات الاستعداد... إلخ.

+ لا يرفع الأُسقُف أكثر من ذبيحةٍ واحدة في اليوم الواحد، كما لا يجوز للمؤمنين التناول من

الأسرار المقدَّسة أكثر من مرة في اليوم الواحد.

+ لم تعرف كنيسة الإسكندرية لقب "بطريرك" (الذي ظهر أوَّلًا في مجمع خلقيدونيَّة). فمنذ عصر القديس كيرلس الكبير، كان الأب البطريرك يُلقَّب باسم: "رئيس الأساقفة"، في حين كان معروفًا في النص اليوناني باسم: "بطريرك المدينة العُظمى الإسكندريَّة".

+ لم تصبح التُّونية رداءً كنسيًّا رسميًّا إلَّا في بداية القرن الخامس مثل بقيَّة الملابس الكهنوتيَّة.

+ لم يكن هناك سجود ولا صيام من عيد القيامة إلى عيد البنتيقسطي.

+ عُرف عيد الميلاد، كعيدٍ مستقل عن عيد الإبيفانيا في أواخر زمن البابا كيرلس الكبير.

+ أوَّل ذِكْر واضح للصَّوم الكبير، كان في زمن البابا أثناسيوس الرسولي. وكان يمتدُّ إلى ٣٥ يومًا، ويعقبه ستَّة أيام صوم الفصح، فيكون مجموع أيام الصَّوم ٤١ يومًا، أي ستة أسابيع. ويتَّضح من رسائل البابا أثناسيوس الفِصحيَّة أنَّ يوم الجمعة العظيمة كان هو ختام الأربعين المقدَّسة. وفي الفترة التي أعقبت مجمع خلقيدونيَّة تمَّ إضافة أسبوع سابع للصَّوم الكبير، اقتداء بالكنائس الشَّرقيَّة الأخرى. حيث صار الصَّوم في كلِّ الشرق سبعة أسابيع. وإن ظلَّ التَّمييز واضحًا في كنيسة الإسكندريَّة بين ستَّة أسابيع للصَّوم الكبير، وأسبوع سابع لصوم البَصخة المقدَّسة.

+ مقدِّمة قانون الإيمان، والتي مطلعها: "نُعظِّمك، يا أم النور الحقيقي، ونمجِّدك..."، لا تعرفها غير الكنيسة القبطيَّة من بين الكنائس الشرقيَّة أو الغربيَّة. وغالبًا تمَّ وضعها في زمن البابا كيرلس الكبير، إبَّان فترة الصراع مع نسطور بطريرك القسطنطينيَّة، الذي رَفَضَ تسمية العذراء مريم بـ "والدة الإله" أو "أُم الله"، مُكتفيًا بأن يدعوها "أُم المسيح".

+ ظهر ما يُعرف باسم طقس الِّلخنين، أي "طقس إيقاد سراج المساء"؛ حيث يتم إحضار السِّراج في المساء من هيكل الكنيسة، ومن داخل المذبح المقدَّس، وفي هذا إشارة إلى حضور المسيح الروحي بين الجماعة، باعتبار المسيح هو نور العالم. وقد انتقل هذا الطقس إلى كنيسة مصر في القرن السادس الميلادي، فنقرأ في قوانين هيبوليتس أنه إذا عمل أحد الأراخنة وليمة أو عشاء للفقراء، فليكُن الأُسقُف حاضرًا وقت إيقاد السِّراج، وليقُم الشَّمَّاس ليوقِده. فيُصلِّي الأُسقُف عليهم، وعلى الذي دعاهم، ويصرفهم لينفردوا من قبل أن يكون الظَّلام، وليصنعوا مزامير من قبل مُضيِّفهم. ولقد حفظت الكنيسة القبطيَّة هذا الطَّقس البديع، وعاش فيها قُرابة ألف سنة، ولكنه للأسف اندثر فيها في القرون الأخيرة.

(البقية صفحة ٤٢)

بحث تاريخي

أديرة وكنائس أخميم الأثرية (١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

مدينة أخميم:

هي واحدة من أقدم وأهم المدن المصرية التابعة لمحافظة سوهاج، والتي عُرِفَت بأسماء عدَّة في اللغات المصرية القديمة واليونانية والقبطية. وقد أشار إليها كثيرٌ من المؤرِّخين والجغرافيين والأثريين والرحَّالة. وتوجد بها بقايا آثار مصرية قديمة ويونانية رومانية كثيرة. وبعد انتشار المسيحية فيها، ازداد عدد الأديرة والكنائس القبطية المُشيَّدة بها. وعُرِفَت باسم: "مدينة الشهداء" لكثرة الشهداء الأقباط الذين استُشهِدوا فيها، نتيجة للاضطهاد والتعذيب على أيدي الأباطرة الرومان الذين حكموا مصر. وقد انتشرت معجزات أولئك الشهداء في ربوع هذه المدينة الباسلة على مَرِّ الفترات التاريخية المختلفة. ومن أهم أديرة أخميم الأثرية، نُشير إلى:

١- دير الشهداء بأخميم:

شُيِّد هذا الدير على بُعْد ٢ كم شمال دير العذراء، وفي الجنوب من دير الملاك بالسلاموني بحوالي واحد كيلومترًا في أقصى شرق أخميم في محافظة سوهاج. وهو الدير الرئيسي في صحراء أخميم، ويأتي من بعده دير الملاك، وكذلك دير السيدة العذراء. كما أنه واحدٌ من أهم أديرة أخميم الممتدَّة من الجنوب إلى الشمال. ويوجد مدخل خاص يؤدِّي إلى الدير من الطريق الخلفي. ويُعتَقَد أنَّ شهداء أخميم قد دُفِنوا في هذا الدير كما هو الحال بالنسبة لشهداء إسنا. ويُعتَقَد أيضًا أنَّ في هذه المنطقة قد استُشهِد ما يقرب من ٨٨٨٠ شهيدًا في ظلِّ حُكْم الأباطرة الرومان. ويرى البعض أنَّ عدد شهداء أخميم هو ٨١٤٠ شهيدًا استُشهِدوا جميعًا يوم عيد الميلاد المجيد في أيام ٢٨ و٢٩ و٣٠ كيهك سنة ٣٠٤م.

وقد ذهب أريانوس والي أنصنا (وهي حاليًّا قرية الشيخ عبادة في محافظة المنيا) إلى

أخميم. ولم يهتم أحدٌ باستقباله، فغضب وأمر بقتل جميع المسيحيين المتواجدين داخل الكنيسة وفي محيطها الخارجي. ودُفِنَ شهداء هذه المذابح أولًا ثم شُيِّدت لهم كنيسة. وقد توافَد الأقباط كعادتهم في أخميم على كنيسة الدير للاحتفال بعيد الشهداء. وقد دخل الأب بطرس رئيس هذا الدير ومعه عددٌ كبير من المسيحيين، وزيَّنوا الكنيسة المقدَّسة وكرَّسوها على اسم الـ ٨١٤٠ شهيدًا الذين نالوا أكاليل الشهادة في أخميم.

وعُرِف عن شهداء أخميم كثيرٌ من المعجزات التي جعلت عدد المُتردِّدين على الدير يتزايد يومًا بعد يوم. ومن أهم شهداء أخميم، نُشير إلى: الأنبا بسادة أسقف أبصاي - القديس مينا الراهب - الشهيد أفرام - الشهيدان ديسقوروس وإسكلابيوس - الراهبة فبرونيا - القديسان أولوجيوس وأرسانيوس.

وتقع الكنيسة الكبيرة في دير الشهداء بأخميم مُلاصقة لسور الدير من الناحية الشرقية. ويوجد بها ثلاثة هياكل، والهيكل الأوسط منها نصف دائري وبه حنيات صغيرة. وينقسم خورس الكنيسة إلى قسمين من خلال فتحة في المنتصف. وهو مُغطًّى بالقباب المُنخفضة، وكذلك قبوات من الطوب اللّبْن كما هو الحال في دير الملاك. وعُثِر حول دير الشهداء بأخميم على كثيرٍ من المدافن الأثرية اكتُشِفَ بها نماذج متنوعة وبديعة من المنسوجات القبطية المحفوظة حاليًّا في كثيرٍ من المتاحف الأثرية العالمية. وبالكنيسة خمسة هياكل من القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديَّيْن مثل:

١- هيكل رئيس الملائكة ميخائيل.
٢- هيكل القديسَيْن ديسقوروس وإسكلابيوس.
٣- هيكل السيدة القديسة مريم العذراء.
٤- هيكل مار جرجس.
٥- هيكل مار مرقس والأنبا أنطونيوس.

ولكلٍّ من هذه الهياكل بابان: أحدهما للدخول، والآخر للخروج. كما توجد نافذة لمُراقبة مَن يدخل الكنيسة من الأعداء. وتعلو هذه النافذة بعض الأيقونات الأثرية. وكان بالدير مائدة أثرية وقلالي وحصن على غرار ما هو مألوفٌ في أديرة قبطية أُخرى. ويُعَدُّ هيكل القدِّيسَيْن ديسقوروس وإسكلابيوس من الهياكل القديمة التي شيَّدتها الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين الأول على غرار ما هو موجودٌ في دير الشهداء بإسنا.

أمَّا باقي الهياكل، فهي تقليدية الشكل والطراز. وتتكوَّن الكنيسة من خورسين وليس ثلاثة كما هو معتادٌ بالكنائس القبطية ولا يوجد بها مقاعد. وفي الناحية الشمالية من الخورس الأول، وُضِعَت رفات القدِّيسَيْن ديسقوروس وإسكلابيوس، ورأس شهيدة محفوظة بداخل مقصورة زجاجية. وقد قام البابا شنودة الثالث بتدشين هذه الكنيسة. وفي ١١ سبتمبر / أول توت من كلِّ سنة، يتمُّ تطييب أجساد القديسين الشهداء في دير أخميم بالحنوط في حضرة الآباء الرهبان والكهنة وزوَّار الدير.

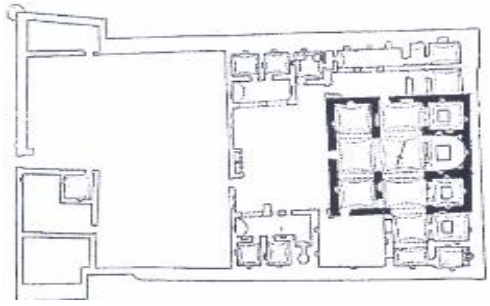

التخطيط العام لدير الشهداء شرق أخميم. نقلًا عن الأنبا صمويل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٥؛ *"تاريخ أقباط مصر"*.

٢- دير القديس الأنبا شنودة الشرقي شمال أخميم:

يقع دير القديس الأنبا شنودة الشرقي على بُعد كيلومترًا واحدًا شمال قرية عربان بني واصل، وعلى بُعْد أربعة كيلومترات في الناحية الشمالية من دير القديس الأنبا توماس السائح. كما أنه يبعد حوالي عشرين كيلومترًا في الاتجاه إلى شمال مدينة أخميم[١]. وتشتمل كنيسة الدير المؤرَّخة من القرن السادس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي على ثلاثة هياكل، تخطيطها نصف دائري وتكتنفها جميعًا حجرتان جانبيتان. ويُحيط بكلِّ هذه الهياكل الشرقية ممرٌّ خلفي يُسمَّى: "الضفير". وبالصحن أربعة أعمدة دائرية ترتكز عليها قباب منخفضة باستثناء القبة التي تعلو الهيكل الرئيسي الأوسط. وترتكز هذه القبة أيضًا على حنيات في أركانها. وعلى جدران الكنيسة الداخلية مجموعة من الأيقونات الهامة تتنوَّع موضوعاتها الزخرفية. كما عُثِرَ في هذا الدير على مخطوطات هامة تُزيِّنها عناصر زخرفية مختلفة. وفي الناحية الشمالية من الدير، توجد كنيسة أخرى أصغر حجمًا

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨١-١٨٢.

وبداخلها صحنٌ صغير وهيكلان.

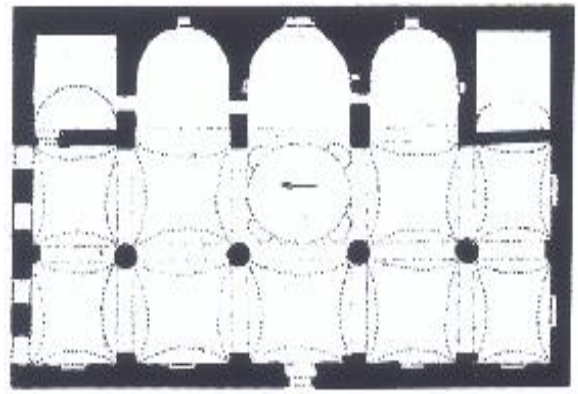

التخطيط العام وبرج الجرس في دير القديس الأنبا شنودة الشرقي بأخميم. نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٠؛ *"تاريخ أقباط مصر"*.

(يتبع)

****

(بقية المنشور صفحة ٣٨ – "الحياة الليتورجية ٤")

في الكنيسة ومبناها:

+ كنيسة القدِّيسَيْن سرجيوس وواخس هما أقدم كنيسة بحصن بابليون بمصر القديمة، وبها أقدم مذبح خشبي معروف بمصر.

+ أصبحت المنجليَّة هي البديل العملي والأسهل للأنبُل.

+ وُجدت المعموديَّات داخل الكنائس، وليست كمبنى مُنعزل عن الكنيسة، وذلك بعد أن تمكَّن المسيحيُّون من بناء الكنائس، بعد انقضاء زمان الاضطهاد.

+ لم يكن في الكنيسة القبطيَّة حتى القرن الخامس الميلادي أجراس تدقُّ للدعوة للعبادة. وإن كانت الكنيسة القبطيَّة تُعتَبَر من أقدم الكنائس في استخدام الأجراس.

+ ارتقى فنُّ رَسْم الأيقونات رُقيًّا رفيعًا عند الأقباط، ولا سيَّما النقوش البارزة على الخشب. وهناك صُوَر جداريَّة عُثر عليها في باويط وسقَّارة، تتميَّز بتنوُّع وغزارة موضوعاتها، وامتزاج التَّقاليد الشرقيَّة بالهللينستيَّة.

(يتبع)

دراسات عن آباء الكنيسة في العصور الأولى

علم الآباء "باترولوجيا"[١]

المجلَّد الأول: "بدايات الأدب الآبائي"

جوهانس كواستن[٢]

ترجمة وتقديم: أنبا مقار[٣]

أسقف الشرقية ومدينة العاشر من رمضان

هذه موسوعة تُعتَبَر من أهم ما كُتِبَ في العصر الحديث عن تاريخ آباء الكنيسة، والأدب المسيحي الأول، والأحداث التاريخيَّة في عصرهم. وهي كنزٌ لا غِنَى عنه لكلِّ دارسٍ في علوم الآباء وسِيَرهم وكتاباتهم[٤]. وتتكوَّن الموسوعة من ٤ مجلَّدات ضخمة، تُقارب عدد صفحاتها في نسختها العربية ١٥٠٠ صفحة[٥].

المجلَّد الأول (موضوع كتابنا هذا العدد)، يُكلِّمنا عن مفهوم وتاريخ عِلْم الآبائيَّات (الباترولوجي)، وتعريف هذا المُصطلح وكيف تطوَّر، ومَنْ هم هؤلاء الآباء! وما هي الشروط الأربعة الأساسيَّة لكي يُعتَبَر الشخص من آباء الكنيسة (١- مُعترفٌ به في كلِّ المسكونة. ٢- استقامة الإيمان. ٣- مشهودٌ له بحياة التقوى. ٤- القِدَم)! ويذكُر أسماء بعض اللاهوتيين الأوائل للعقائد والتراث المسيحي الرئيسي سواء في الشرق أو في الغرب.

يتكوَّن الكتاب من ثمانية فصول:

الفصل الأول: يُحدِّثنا عن الإرهاصات الأولى لصياغة الإيمان المسيحي مثل: "قانون إيمان الرسل"، "الديداخي (تعليم الاثني عشر رسولًا)".

الفصل الثاني: هو عن الآباء الرسوليين الذين عاشوا في القرن الميلادي الأول وبداية

---

(١) الكتاب صادر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى: يناير ٢٠١٥، ويقع في ٣٥٩ صفحة.

(٢) عالِم آبائيَّات ألماني الأصل (١٩٠٠- ١٩٨٧)، وبالإضافة إلى موسوعة الباترولوجي له عِدَّة مؤلَّفات: ١- الراهب والشهيد. ٢- ضد الأكاديميين. ٣- الموسيقى والعبادة بين الشعوب الوثنية والمسيحية في العصور القديمة. ٤- رسائل القديس كليمندس أسقف رومية والقديس إغناطيوس الأنطاكي.

(٣) قام بالترجمة قبل سيامته أسقفًا.

(٤) برغم صدور كُتُب أخرى كثيرة عن "علم الآبائيات" إلَّا أنَّ مجموعة كواستن تظل اللَّبنة الأولى والضرورية لكلِّ باحثٍ ومهتم بهذا الفرع من المعرفة.

(٥) صدر منها ٣ أجزاء حتى الآن، والجزء الرابع قيد الإعداد.

القرن الميلادي الثاني، والذين تُعتَبَر تعاليمهم صدًى مباشرًا لتعاليم الرسل، مثل: كليمندس الروماني (ت ١٠١م)، إغناطيوس الأنطاكي (ت ١٠٧م)، بوليكاربوس أسقف سميرنا (ت ١٥٦م)، رسالة برناباس (١٣٨م)، كتاب الراعي لهرماس (١٦٠م).

الفصل الثالث: يذكُر الأناجيل الأبوكريفيَّة، مثل: الإنجيل بحسب العبرانيين، إنجيل المصريين، إنجيل الإبيونيين، الإنجيل بحسب بطرس، الإنجيل العربي للطفولة.

الفصل الرابع: يذكُر ترانيم العبادة المسيحية الأولى وأصولها من المزامير وتراتيل العهد القديم، وأهمها "أناشيد سليمان"، وهي تتَّسم بالروح الصوفيَّة، وتحتوي على موضوعاتٍ عقائدية وتسابيح عامة موجَّهة إلى الله، ولعلها كانت تُحاكي سِفْر النشيد لسليمان ومنه أخَذَت الاسم.

الفصل الخامس: يُحدِّثنا عن محاضر المُحاكمات الرسمية للشهداء الأوائل، والروايات التي تذكُر الآلام التي جازوها، والتي كانت تُقرأ للجماعات المسيحية في أثناء الخدمة الليتورجيَّة التي تُقام في الذكرى السنوية لاستشهاد الشهيد، وأشهرها هو قصة آلام واستشهاد بيربتوا وجاريتها فيليسيتاس، اللتين استُشهدتا في حَلَبَة المُصارعين.

الفصل السادس: هو عن المُدافعين اليونانيين الأوائل، فعن طريقهم توجَّهت الكتابات المسيحية المُبكِّرة للعالم الخارجي لأول مرة. وأشهر هؤلاء المُدافعين هو القديس يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٧م)، أثيناغوراس الأثيني (القرن الثاني). وتُعتَبَر الرسالة إلى ديوجنيتوس من أروع أعمال الأدب المسيحي اليوناني (أواخر القرن الثاني).

الفصلان السابع والثامن: يُحدِّثانا عن بدايات الكتابات الهرطوقيَّة والكتابات المضادة لها. ويفرد الكتاب فصلًا عن القديس إيرينيئوس أسقف ليون وكتاباته وفكره اللاهوتي ...

الفصل العاشر: إنَّ موضوع الكتاب الرئيسي هو سرُّ الخلاص، وتأنُّس الله الكلمة؛ حيث يُمثِّل تأنُّس الابن، كلمة الله، بداية مسيرة تحقيق خطة الثالوث الأقدس، لأجل خلاص البشريَّة.

الفصل الحادي عشر: التفسير الصحيح يتطلَّب معرفة الهدف من التأنُّس. فالهدف من التأنُّس هو شفاء الطبيعة البشرية من المرض الذي أصابها، حيث وَصَف الخطية بالمرض الذي يحتاج لشفاء.

الفصل الثاني عشر: عن كيف أقرأ الكتاب المقدَّس؟ ١- اقرأه ككلٍّ لا يتجزَّأ. ٢- اقرأه على ضوء الإيمان المستقيم بشخص وطبيعة عمل المسيح. ٣- اقرأه داخل الكنيسة ومجتمع الشركة.

Celebrating the Passover continually

Furthermore, if a man has understood that «Christ our Passover was sacrificed», and that he ought to keep the feast by eating the flesh of the Logos, there is not a moment when he is not keeping the Passover, which means "offerings before making a crossing". For he is always passing over in thought and in every word and every deed from the affairs of this life to God and hastening towards His city. In addition to this, if a man is able to say truthfully «we are risen with Christ», and also that «he raised us up and made us sit with him in the heavenly places in Christ», he always lives in the days of Pentecost, and particularly when, like the apostles of Jesus, he goes up to the upper room and gives time to supplication and prayer, so that he becomes worthy of the "mighty rushing wind" from heaven which compels the evil in men and its consequences to disappear.

Contra Celsum, tr. H. Chadwick, Cambridge Univ. Press, 1953, p. 468

****

ἐκ τοῦ Ὠριγένους

Ἔτιδὲ ὁ νοήσας ὅτι "τὸ πάσχα ἡμῶν ἐτύθη Χριστός", καὶ χρὴ ἑορτάζειν ἐσθίοντα τῆς σαρκὸς τοῦ λόγου, οὐκ ἔστιν ὅτε οὐ ποιεῖ τὸ πάσχα, ὅπερ ἑρμηνεύεται διαβατήρια, διαβαίνων ἀεὶ τῷ λογισμῷ καὶ παντὶ λόγῳ καὶ πάσῃ πράξει ἀπὸ τῶν τοῦ βίου πραγμάτων ἐπὶ τὸν θεόν, καὶ ἐπὶ τὴν πόλιν αὐτοῦ σπεύδων. Πρὸς τούτοις δὲ ὁ δυνάμενος μετ᾽ ἀληθείας λέγειν· "Συνανέστημεν τῷ Χριστῷ" ἀλλὰ καὶ τό· "Συνήγειρε καὶ συνεκάθισεν ἡμᾶς ἐν τοῖς ἐπουρανίοις ἐν Χριστῷ" ἀεί ἐστινὲν ταῖς τῆς Πεντηκοστῆς ἡμέραις, καὶ μάλιστα ὅτε καὶ "εἰς τὸ ὑπερῷον" ὡς οἱ ἀπόστολοι τοῦ Ἰησοῦ ἀναβὰς σχολάζει τῇ δεήσει καὶ "τῇ προσευχῇ", ὡς ἄξιος γενέσθαι τῆς "φερομένης πνοῆς βιαίας" ἐξ οὐρανοῦ, βιαζομένης ἐξαφανίσαι τὴν ἐν ἀνθρώποις κακίαν καὶ τὰ ἀπ᾽ αὐτῆς.

Πρὸς τὸν ἐπιγεγραμμένον Κέλσου Ἀληθὴ Λόγον, 8.22
(SC 150, p. 224)

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2023 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK **May 2023**

Monthly Review

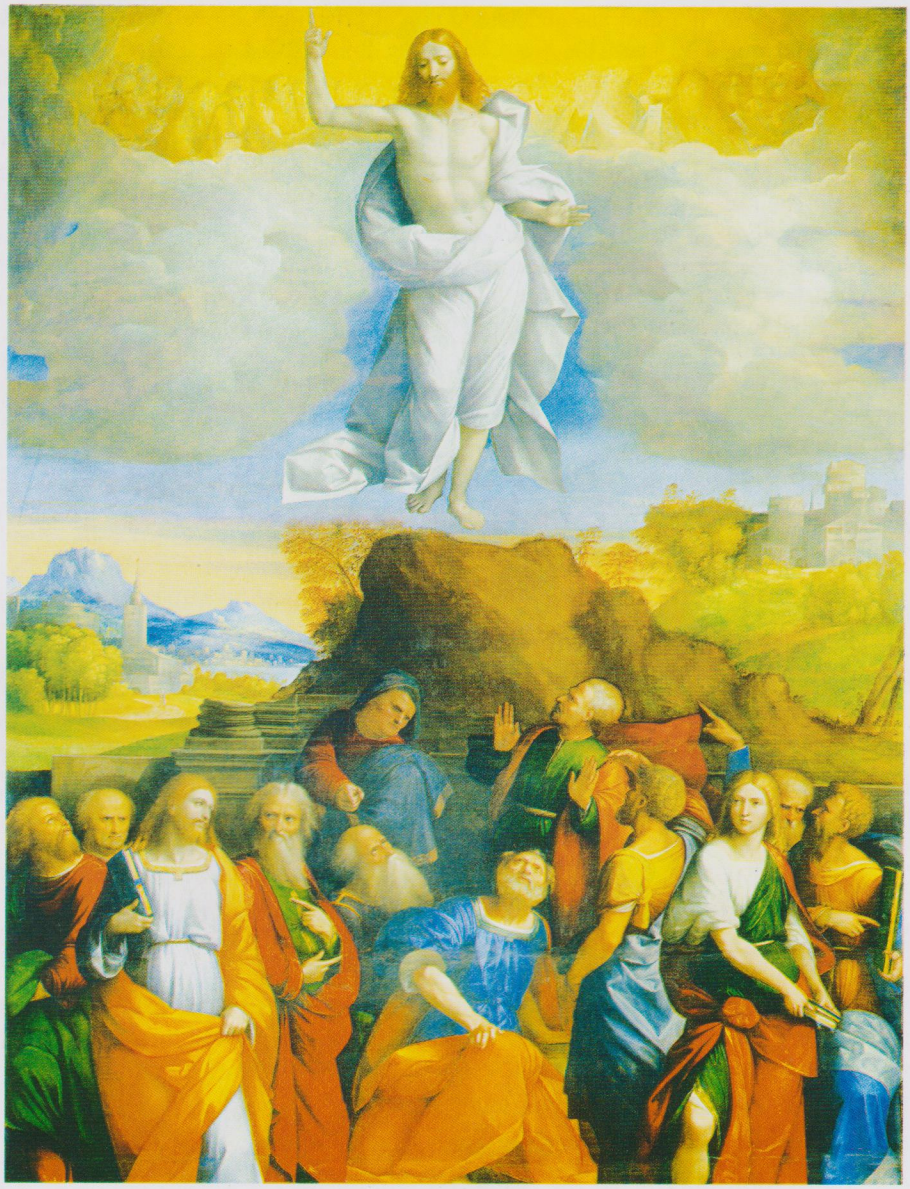

"Then he led them out as far as Bethany, and lifting up his hands he blessed them. While he blessed them, he parted from them, and was carried up into heaven. And they returned to Jerusalem with great joy" (Luke 24:50-52).

"So then the Lord Jesus, after he had spoken to them, was taken up into heaven, and sat down at the right hand of God" (Mark 16:19).